أناشيد سليمان

مُترجَم (بتصرُّف بسيط لدواعي الصياغة الشعرية) عن كتاب:

Les Odes de Salomonr J. Guirau et A. G. Hamman.
Collection Quand vous prierez. DESCLÉE DE
BROUWER. 1981.

المترجم: أحد رهبان دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون
ديسمبر ٢٠٠٩

---

١ مُترجَم (بتصرُّف بسيط لدواعي الصياغة الشعرية) عن كتاب:
Les Odes de Salomon, Nouvelle traduction par J. Guirau et A. G. Hamman, Collection Quand vous prierez, DESCLÉE DE BROUWER, 1981.
المترجم: أحد رهبان دير القديس أنبا مقار، وادي النطرون، ديسمبر ٢٠٠٩

مقدمة

في عام ١٩٠٩م. اكتشف العالم راندال هاريس مخطوطًا ورقيًا باللغة السريانية يرجع تاريخه إلى القرن الخامس عشر الميلادي، وذلك في التخوم المجاورة لنهر دجلة. وقد احتوى هذا المخطوط على مجموعة من أناشيد سليمان تبدأ من نشيد (٣) وحتى نشيد (٤٢). أما النشيد الأول فقد عُثر عليه في رقوق جلدية من القرن الرابع الميلادي. وعلى ذلك يكون النشيد رقم (٢) هو وحده المفقود من بين مجموعة هذه الأناشيد؛ إذ لم يُعثَر عليه. والواقع أن هذه الأناشيد؛ قد قدَّمت صورة واضحة عن المسيحية في عصورها المبكِّرة، وكَشَفَت لنا عن أدبها الشعري الأول.

موطن الأناشيد ومؤلفها ولغة وزمان كتابتها

إذا تساءلنا من أين جاءت هذه الأناشيد، فالإجابة تكون سهلة إذا ما عرفنا اللغة الأصلية التي كُتبت بها. فالبعض رجَّح أن تكون اللغة اليونانية - وهذا الرأي قُبِلَ بصفة عامة - إلَّا أن عددًا من المؤرِّخين المحدَثين يميل بالأكثر إلى أنها قد دوِّنت باللغة السريانية. ومما لا شكَّ فيه أن هذا الاختلاف لا يسمح بتحديد موطنها الجغرافي على وجه الدقة، فهناك مَنْ يقول سوريا - وهو الأكثر قبولًا - وآخر يقول العراق.

أما عن مؤلِّف هذه الأناشيد؛ هل كان يهوديًّا أم مسيحيًّا، فالمسألة كانت موضع جدال طويل. وكونها تُنسَب إلى سليمان، فهذا يفسِّر احتواءها على عدد من الصِّيَغ المألوفة في لغة العهد القديم وبعض الاقتباسات من سفر المزامير. وعمومًا فالأناشيد تُشكِّل جزءًا من الأدب المسيحي المبكِّر الذي وصل إلينا من الأوساط اليهودية - المسيحية.

وفيما يختص بزمن تأليف هذه الأناشيد، فهو إما أن يكون نهاية القرن الأول أو بداية القرن الثاني الميلادي. إلا أنه من المفضَّل أن يكون الثلث الأول من القرن الثاني بسوريا. مما يرجِّح كتابة النص الأصلي باللغة السريانية؛ وهذا بدورهِ يفسِّر السبب في أن "الروح القدس" جاءت التشبيهات عنه بصيغة التأنيث مثل: الأم الحاضنة (نشيد ٢٨). لأن كلمة "الروح" في اللغة السريانية، كما في العبرية مؤنَّثة.

ومادة الأناشيد قريبة من إنجيل القديس يوحنا، وسفر الرؤيا، وأسفار العهد القديم. وهي تتميَّز باحتوائها على أسلوب تصويري، وتقابل أدبي لفظي، وطباق وكذلك تبدو متأثِّرة ببعض الأساطير الدينية القديمة. ولذا؛ فهي تستحضر لنا صورة من عصر المسيحية الأولى في بلاد الشرق.

الأناشيد والعقيدة

الكاتب ينقل المشاعر والأحاسيس التي تختلج في قلبه، ولذا فهو يتغنَّى أكثر مما يحلِّل. فنراه وهو يسبِّح على أوتار قيثارته للمحبة والفرح والسلام ... إلخ، وهي موضوعات تتردَّد كثيرًا بين ربوع أناشيدهِ. لكن كل هذا إنما ينساب من خلال رؤية إيمانية صافية تنحدر من لاهوت الأوساط اليهودية ـ المسيحية الأُولى، الذي تميَّز بأنه لاهوت حي مُعاش أكثر منه لاهوت صِيَغ وعبارات نظرية. فنراه يتعرَّض في سياق الشعر والتسبيح لموضوعات عقيدية كثيرة نذكر منها:

سر الثالوث

عقيدة التثليث واضحة جدًّا في الأناشيد، فالله هو آب وابن وروح قدس. والتأكيد على الإله الواحد المثلَّث الأقانيم يأتي في عدَّة مواضع (١٩ و٢٣)، وأحيانًا يأخذ نبرة الجدل ولا سيما في مواجهة اليهودية.

الله الخالق

الله هو الخالق كلي القدرة وكلي القوة (١٦). والخلقة ما هي إلا تعبير عن مدى رقَّته ولطفه (٣)، لأنه لم يكن في حاجة إلى الخلائق وإنما الخليقة هي التي تحيا به (٤). فالله مُبدع كل الأشياء قاطبة: السماء والنجوم، الأرض والبحر ... إلخ. ولا شك أن العالم المخلوق يعكس صورة العالم السماوي (٣٤). والله قد خلق العالم "بكلمته" (٧ و١٢). والملاحظ أن الخلقة تحتل مكانًا هامًّا في الأناشيد بصفةٍ عامة.

"الاسم"، وارتباطه بالمعمودية والروح القدس

"الكلمة" يُشار إليه دائمًا في الأناشيد بـ "الاسم" (٦)، ويأتي مرتبطًا بالروح القدس. وهذه إحدى الخصائص التي تميِّز الأدب اليهودي ـ المسيحي. ثم إنَّ "الاسم" يجيء أيضًا مرتبطًا بالمعمودية التي تتم "باسم يسوع"، ومن هنا نسمع تعبيرات شائعة في الأناشيد مثل:

"لبس اسمه" (٣٩).

"الاسم المنقوش على الرأس" (٤٢).

الروح القدس

الروح القدس له مكانة كبيرة في الأناشيد، فهو النازل مثل حمامة (٢٤ و٢٨). وهو المُلهِم للشاعر مثل اليد التي تعزف على القيثارة (٦)، ومثل غدير ماء منساب (١٢). كما أنه الملجأ الذي يحتمي فيه الشاعر كالطفل في حضن أُمِّه (٢٨).

التجسُّد، الآلام والصليب

نشيد (٣٣) يقدِّم لنا التجسُّد على أنه فعل اتضاع ثم ارتفاع لابن الله الكلمة. كذلك نشيد (٢٣) يُشبِّه إرسالية المسيح إلى العالم، برسالة أو خطاب مُرسَل من الله الآب ليحمل الأخبار السارة إلى العالم.

فيتمِّم المسيح عمله ويكمِّله بـالآلام والصليب (٣١)، ويتقبل الموت لكـي يقهره.

النزول إلى الجحيم والنصرة على التنين

عمل المسيح الخلاصي يَكمُل بالنصرة على التنين (٢٢) الذي قبض على أرواح الصدِّيقين وأسرهم في الجحيم السفلي. والأناشيد تَذْخَر بعرض واضح لحادثة نزول المسيح إلى الجحيم لكي يحرِّر الأسرى من قبضة الشرير (١٠ و١٧ و١٢)، ولكي يكرز لهم ببشارة الإنجيل ويفتح باب الخلاص للذين يدعونه قائلين الصلاة التي امتلأت بها الأناجيل: "ارحمنا يا ابن الله" (٤٢).

العذراء الأُم

نشيد (١٩) يقدِّم لنا بصفة خاصة نصًّا ثمينًا عن أُمومة العذراء القديسة مريم، وميلادها العُذري العجيب للمسيح بغير ألم وبدون أية معونة بشرية. وهذا المفهوم يُعتَبَر سمة واضحة في اللاهوت السرياني.

العهد الجديد والعودة إلى الفردوس

الأناشيد تقدِّم العهد الجديد على أنه "العهد الحقيقي"، باعتباره عودة ثانية للفردوس، كنعان السماوية الأرض التي تفيض لبنًا وعسلًا (٨ و١١ و١٩ و٢٠ و٣٥). والعودة للفردوس موضوعٌ له أهميته في لاهوت الكنيسة السريانية، ونلمَح أثره في كتابات وأعمال القديس مار أفرام السرياني.

المسيح محور الأناشيد

شخصية السيد المسيح له المجد، تُعتَبَر بوجه عام هي المحور الأساسي الذي تدور حوله مادة كل الأناشيد: فهو ابن الله وهو إنسان بآن واحد (٣٦)، وهو أيضًا "الكلمة" (١٢). وهو المسيَّا الذي تحقَّقت

فيه كل المواعيد التي أُعطيت للآباء البطاركة (٣١). وهو الذي فتح أبواب الملكوت أمام جميع شعوب الأرض (٦).

الأناشيد والليتورجيا

وردت بالأناشيد إشارات كثيرة عن طقوس وممارسات دينية متعدِّدة؛ مما يُرجِّح أنها كُتبت أصلًا بغرض استخدامها الليتورجي، أو أن المؤلِّف كانت نيته تتجه لاستخدامها في الطقوس والاجتماعات الدينية.

جماعة المؤمنين

تقدِّمها الأناشيد على أنها: "مسكن القديسين" المؤسَّس على الصخرة (٢٢). و"غرسٌ نما وترعرع" لمجد الله (٣٨)، وكذلك فهي تدعو الأبرار بـ "القديسين" (٧ و٢٢ و٢٣)، كما هو شائع عند معلِّمنا القديس بولس.

المعمودية

تشغل المعمودية مساحة كبيرة في الأناشيد، حتى إن الإشارات والتلميحات التي وردت بها عن ليتورجية المعمودية يصعب حصرها. الأمر الذي حَدَا بالبعض لأن يؤكِّد أن الأناشيد ما هي إلا تسابيح خاصة بالمعمودية.

فطقس العماد يشكِّل جزءًا جوهريًّا في ملحمة المسيح الخلاصية، وعندما يُشير نشيد (٢٢) إلى نزول المعمَّد الجديد إلى جرن المعمودية، فإنه يعتبر ذلك مواجهة مع الشيطان ونصرة على "التنين والوحش مع رؤوسه السبعة". كذلك عبور المعمَّد لجرن المعمودية يمثِّل عبور شعب بني إسرائيل لنهر الأردن في طريقهم لدخول أرض الموعد.

الخَتم

الذين يُرشَمون بعلامة الصليب على جباههم، أولئك هم المختارون:

"قد طبعت ختمي على جباههم" (٤ و٨). كذلك عملية نزع ثياب الخطية القديمة والسقوط (١١)، ولبس ثياب عدم الفساد (١٥ و٢١)، هذه كلها إشارات واضحة لطقس المعمودية.

الإكليل

الإشـــارات المتعدِّدة لوضع أكاليل من أوراق النبات على رأس المعمَّدين الجدُد (١ و١٠ و٩) ترتبط بالمعمودية والعودة إلى الفردوس في آنٍ واحد (٢٠). ولا زالت هذه الممارسة تمثِّل حتى يومنا الحاضر جزءًا من طقس المعمودية في الكنيسة السريانية.

اللبن والعسل

شراب اللبن والعسل الذي كان يُقدَّم للمعمَّدين الجدُد، والذي تكرَّر ذكره في الأناشيد (٤ و٨ و١٩ و٣٥)، إنما يرجع إلى طقس يهودي - مسيحي كان يُمارَس قديمًا.

وبالنهاية؛ فإن هذا التنوع الشديد للموضوعات العقائدية والطقسية والروحية التي تعرَّضت لها الأناشيد، يعكس لنا المشاعر الروحية الغزيرة التي سيطرت على الشاعر. فعندما يستعرض عظمة الخلاص يشعر وكأنه طفل يحتضنه الله (٢٨)، وهذه القُربَى من الله التي اكتشفها الشاعر كنتيجة لمجيء المسيح هي التي أعطت للشعر حرارته وتوهُّجه. فالمسيح المنتصِر ليس هو فقط واهب النعمة والمعرفة والحق والقداسة والسلام، وإنما هو بالأحرى الصَّدِيق الحميم الذي يثير في أعماق القلب حركةً لكي يتجه الإنسان بكل كيانِه نحوهُ. هذا الأمر اختبره كثيرٌ من القديسين في الجيل المسيحي الأول ولا سيما القديس إغناطيوس الأنطاكي تلميذ القديس يوحنا الرسول والذي عاش في نفس الفترة الزمنية وفي نفس المنطقة التي صارت مهدًا لهذه الأناشيد.

١ الرب إكليل فخري

الـــرب إكـلـيـلٌ يـتـوِّج هـامـتي ورأسـي[1]،
فـبـدونـه مـن أيـن لـي أن أحـيـا وأمـشـي؟

قـد ضـفـروا لـي إكـلـيـل حـق ونُـصـرة،
فـأفْـرَخَـتْ في أحـشـائـي أغـصـانـه كـل نـعـمـة.

إكـلـيـلٌ لا يُـضَـارع بـالآخـر الـذابـل،
فـذاك عـقـيـمٌ، لا يُخـرج بـراعـم أو سـنـابـل.

إكـلـيـلـي ثـمـاره عـظـيـمـة لـيـس فـيـهـا مـعـيـب،
وكلها مملوءة من فائق خلاصك العجيب.

٣ عُرس الحبيب

مـحـبَّـة الـرب ... تـكـسـونـي مـثـل ثـوب قـشـيـب،
فـدَنَـتْ مـنـي أطـرافـه، وصـارت عـن قـريـب،
فضممتُها أنـا لـصـدري، وأمـا هـو فعانقني بترحيب[2].
حـقًّـا! مـا كـنـت لأعـرف كـيـف أهـيـم بـربٍّ مـهـيـب،
لـو لم يـكـن قـد سـبـق هـو وأحـبَّـنـي بحـبٍّ عـجـيـب.

[1] صورة الإكليل ترد مرات كثيرة في أناشيد سليمان (انظر أناشيد: ٥ و٩ و١٧ و٢٠). كما وردت من قبل في سفر إشعياء: "في ذلك اليوم يكون رب الجنود إكليل جمال وتاج بهاء لبقية شعبه" (إش ٢٨ : ٥). وهي تُشير لطقس عماد قديم حيث كان يوضع إكليل على رأس المعمَّدين.

[2] صورة مألوفة في الشعر الإنجيلي مستوحاة هنا من سفر نشيد الأنشاد. وهذا الاتحاد السري مع المسيح في صورة العُرس الروحي يمكن أن ينطبق على الكنيسة كعروس للمسيح، وأيضًا على النفس البشرية.

فمَنْ يقدر أن يدرك عُمق المحبة ويتفهَّمها بعقلٍ لبيب؟
سوى ذاك الذي صار بمحبوبٍ بل وأيضًا بحبيب.
أُعانق الحبيب فروحي، تتطلَّع إليه حبًّا بشوقٍ وترغيب.

تُرى أين تكمن راحة سيدي؟!
فهناك حتمًا أدُقُّ أوتاد خيمتي.
ولن أكون غريبًا فيما بعد أو نزيلاً،
لأن العلي يرحم مَنْ كان مثلي هزيلاً.
ها أنا متحدٌ به،وثابتٌ فيه،
فالمُحب (الإلهي) وَجَدَ فيَّ حبيبًا يبتغيه.

ولأني أحب ابن الله حقًّا،
فسأصير أنا كذلك لله ابنًا.
نعم، فالذي التصق بمَنْ داس الموت وقام؛
لن يعاين موتًا، إنما يُخلَّد على الدوام.
والذي سُرَّ بمعية مَنْ هو الحياة ذاتها،
فسوف يحيا بدوره أبدَ الدهور كلها[٣].

هذا هو روح الرب بغير مواربة،
الذي يُعلِّم البشر معرفة دروبه.
فتعقَّلوا إذن، وتفهَّموا بحكمةٍ،
وعلى خلاصكم اسهروا بيقظةٍ.
هَلِّلُويَا!

---

[٣] يتكرَّر هذا المبدأ في إنجيل القديس يوحنا كثيرًا: "أنا هو القيامة والحياة، مَنْ آمن بي ولو مات فسيحيا" (يو ١١ : ٢٥).

٤ مقاصد النعمة

إلهي! لن ينقل أحد تخوم هيكلك المقدَّس الحبيب[4]،
أبدًا، لن يزحزحه أحد، ليقيمه في موضع غريب،
فهذا أمر يفوق مقدرته حتى ولو كان ذا سلطان مهيب.

قد سَبَقَتْ عنايتك واختارت هيكلك منذ القديم،
من قبل أن تنشئ العالم وتخلق كل شيء حتى الأديم.
فالعتيق في الأيام هذا لن يتغيَّر، أو يلحق به تقسيم،
مِن قِبَل أولئك الذين هم دونه في المرتبة والترقيم.

يا رب! قد سبقتَ ومنحتَ قلبك عطيةً لأحبائك المؤمنين؛
فحاشاك أن تكون بلا عمل فيهم
أو يكونوا من الثمار فارغين.
نعم؛ فساعة واحدة (أحياها) في
إيمانك خير من كل الأيام والسنين.
فمَنْ ذا الذي يتسربل بثوب نعمتك،
ويكون بعد من الهالكين؟
فختم صبغتك[5] معروف (لنا)، وأنت لجبلتك خير العارفين.
تحمله الجنود العلوية، ورؤساء
ملائكتك يتقلدونه مفتخرين.
قد أعطيتنا الشركة معك وأن
نكون لك من الرعية المقربين،

---

[4] المقصود بالهيكل، قلب الإنسان المؤمن الذي يقدِّم به العبادة لله بالروح والحق.
[5] الختم يُشير إلى المعمودية، حيث تُرشَم جبهة المعمَّد بعلامة الصليب المقدَّس.

وأنت يا سيدي غير محتاج لعبوديتنا،
بل نحن لربوبيتك المحتاجون.

انضح علينا يا رب من طلِّ السماء،
وافتح لنا ينابيعك الغنية بسخاء،
كي تفيض علينا لبنًا وعسلًا كغذاء[٦].
لأنه ليس من طبعك الندم حين تشاء،
حتى تتراجع عن وعودك بالوفاء،
لأنك تعرف حتمًا خاتمة كل الأشياء.

جميع عطاياك الممنوحة للإنسان،
قدَّمَتها يدك هبة مجانية وإحسان.
لذلك لن تنزعها عنه مهما جرى وكان.

كإله! فأنت يا رب عارف بسائر جميع الأمور،
ومنذ البدء الكل حاضر أمامك وليس شيء بمستور.
فقد أبْدعتَ كافة الأشياء بعناية فائقة وحبور.
هَلِّلُويَا!

٥ الرب حصن حياتي

أشكرك (يا) ربي وإلهي[٧]؛
فأنت موضع حبي واعتزازي.

---

[٦] صورة لنعيم الفردوس، كما أنها إشارة لأحد طقوس المعمودية حيث كانوا يقدِّمون للمعمَّدين الجدد شرابًا يحتوي على اللبن والعسل.

[٧] هذا النشيد مستوحًى من سفر المزامير (انظر: مز ١٤١ : ١٠؛ ٢٦ : ٥ و٩؛ ٢٧ : ١؛ ٣٠ : ٧؛ ٢٣ : ٤؛ ١١٥ : ١٧).

فلا تهملني يا خالقي المتعالي،

لأنك أنت حصني ورجائي.

نعمتك مجانًا قد أعطيتني،

وحقيقة بها قد أحييتني.

مُضطَهِديَّ على الأبواب حالًا يقرعون،

ولكن وجهي أبدًا سوف لا ينظرون.

فسُحُب وضباب على عيونهم نازلون،

وبرياح الظلام حتمًا سوف ينطمسون.

والنور سينحجب عنهم فلا يُبصرون،

أما عن الإمساك بي فسوف يعجزون.

لتَبطُل عني سائر مكائدهم،

ولترتد خائبة فوق رؤوسهم.

فقد هيأوا ضدِّي شر خططهم،

أما أنت فقد بَدَّدتَ مشورتهم.

وأضمروا لي بسوء نيتهم،

وها هي قد تعرَّت جهارًا قدامهم.

رجائي هو بالرب،

فممَّنْ أخاف أو أرهَب؟

خلاصي هو الرب،

فماذا أخشى أو أرغَب؟

تاجٌ على الرأس هو الرب[8]،

---

[8] انظر حاشية النشيد الأول.

فكيف أهتزُّ إذن أو أتذبذب.

ولو تزعزعت الأرض كلها بهزاتٍ،
سأدوم منتصبًا رغم كل العثرات.
وإذا فَنِيَتْ وتلاشت كل المرئياتِ،
فلن أموت أبدًا مثل باقي الكائناتِ.
فالذي معي هو الرب إله القواتِ،
فأحيا معه وهو معي في ثباتٍ.
هَلِّلُويَا!

٦ مياه الرب العظيمة

كما تتحرَّك أصابع اليد، على القيثار[٩]،
فتعزفُ ألحانًا شجيَّةً، عندما تهزُ الأوتار،
هكذا يتكلَّم روح ربِّي في أحشائي ليل نهار،
فيلتهب قلبي بحبِّه، ويهتف لساني بأشعار.
لأنه يبدِّد كل (فكر) غريب، من زرع الأشرار.

جميع الأشياء قد صَنَعَتها يد الرب القدوس،
وكما أوجدها منذ البدءِ، خالق كل النفوس؛
هكذا ستبقى إلى النهاية، وحتى يقرع الناقوس،
وليس شيء يعترضُهُ، فالكل أمامه مدوس،
بل مَنْ يقاوم مشيئته، رئيسًا كان أو مرؤوس.
الربُّ كشف لنا عن ذاته، بكل وضوح وتأكيد.

---

[٩] صورة الروح القدس الذي يعزف على القيثارة، مطروقة كثيرًا في اللاهوت السرياني ولاسيما عند القديس مار أفرام السرياني.

ويجتهد أن يُعرِّفنا أكثر فأكثر، بإصرارٍ شديد،
عن عطايا نعمته الموهوبة لنا، بحسب غناهُ المجيد.
فقد أعطانا أن نُسبِّح اسمه، بهذيذٍ وترديد،
فلتقدِّم نفوسنا لروحه (القدوس)، ذبيحة الحمد والتمجيد.

لأن ينبوع ماء قد اندفق علينا، من أعلى السماء[١٠]،
وصار سيلًا عُبابًا قويًّا، يندفع بغزارة وسخاء.
قد غمر الأرض، وجرفها نحو هيكل السماء،
وعراقيل البشر فشلت أن تصدَّه عن رسالته الغرَّاء،
وحِيلهم الماكرة ما أوقفت جريانَهُ ولا سدودهم العلياء.

فقد غطَّى ماؤه، وجه البسيطة بالكمالِ،
وأترعتْها مياهه، من الجنوب إلى الشمالِ.
فشرب منها عطاشُ الأرض بأجمعهم، في الحالِ،
فأطفأوا ظمأَهم، وارتووا من مائه الزلالِ،
لأن الرب قد أرسل مشروبَهُ (الشافي) من الأعالي.

فطوبى لخُدَّام مشروب الله هذا، الخادمين سرائره،
أولئك الذين استأمنهم، على مياهِهِ الحيَّةِ الطاهرة.
فرطَّبوا بها الأفواه الجافة، والشفاه اليابسه،

[١٠] موضوع المياه الذي يشير إلى الروح القدس جاء في سفر حزقيال (٤٧)، وأيضًا أشار إليه القديس يوحنا في إنجيله في قول الرب: "مَنْ آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنِهِ أنهار ماء حي" (يو ٧ : ٣٨). والشاعر يتنقَّل من صورة الماء الذي يخصِّب الأرض، إلى الماء الذي يعتمد فيه الموعوظون ليصل في النهاية إلى المشروب الذي يطفئ الظمأ، ويقوِّي الأعضاء الواهنة و"النفوس المائتة". ويربط بين الماء والنور لينهي قصيدته بالماء الحي الذي يتكلَّم عنه القديس يوحنا في إنجيله قائلًا: "مَنْ يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (يو ٤ : ١٤).

وأنهضوا الإرادة الضعيفة، وكل الهمم الخائره.
وانتزعوا من قبضة الموت، تلك النفوس الهالكه،
والأعضاء الواهنة تشدَّدت، واستقامت واقفه.

فقد أُعطوا قوة لمواصلة رحلة المسير،
ووُهبوا نورًا لعيونهم، لكي تنفتح وتستنير.
وعرفهم كل إنسان، إخوة له في القدير،
يحيون بالماء الحيِّ، توطئة لأبدٍ منير.
هَلِّلُويَا!

٧ الله ظهر في الجسد

مثلما يكون الغضب ضد الأثيم عارمًا[١١]،
هكذا يكون الفرح من نحو المحبوب جارفًا،
وبغير مانع يمد الإنسان يده للثمار قاطفًا.
فرحي هو الرب، وإليه يتطلَّع قلبي متلهِّفًا،
فحسنٌ سبيلي نحوه، لأنه يساندني مُعَضِّدًا.

الرب في بساطته، قد عرَّفني نفسه،
وفي تواضعه وارى عني جلالَه،
وشابهني في كل شيء، حتى أقبَلَهُ،
واتخذ هيئتي كي أستطيع أن ألبسه[١٢].

[١١] نشيد للمسيح يمجّد عمل الخلاص، ومجيئه المتواضع للعالم وعمل نعمته القوي في البشرية والعالم.

[١٢] ربما تشير إلى المعمودية، حيث يلبس الإنسان (المعمَّد) المسيح كما يقول معلّمنا القديس بولس في رسالته إلى أهل غلاطية: "لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح" (غل ٣ : ٢٧).

لذا لم أفزع منه حينما جاء ورأيته،
لأنه قد شملني بنعمته، وأولاني رحمته.
وأخذ طبيعتي حتى أقدر أن أستوعبه،
وأيضًا صورتي، كي لا أحيد أبدًا عن وجهه.

أبو المعرفة، هو "الكلمة" أقنوم المعرفة[١٣].
فالذي خلق الحكمة، هو أحكم من كل خليقته.
وخالقي قبل أن أتصوَّر، سبق وعرف ضعف جبلته،
فأشفق عليَّ في تحنُّنه، ووسَّع لي أبواب رحمته،
وأعطاني أن أُصلِّي إليه، وأنال من ذبيحته[١٤].

حقًّا هو غير فاسدٍ، بل هو كمال العالمين وهو أبوهم.
أعطاه (الآب) أن يخبرهم أنهم
خاصته، ويعرفوا الذي صنعهم،
وألَّا يتصوَّروا في جهلهم، أنهم بدونه قد أوجدوا نفوسهم.
لقد دشَّن طريقًا لمعرفته، وسَّعه وأمدَّه وملئه يَقودهم.

وترك على هذا الطريق بصمات نوره، من أوله لآخرته،
لأنه قد صنعه بنفسه، ومسرَّته في ابن محبته.
وبسبب عِظَم خلاصه، سيملك على كل جبلته،
والرب العلي سوف يُعرَف، من قديسيه وأحبته:
فسيُعلنون للذين يرتلون لمجيئه، أن يذهبوا للقيته.

---

١٣ كلمة "المعرفة" الواردة هنا، لها جذور إنجيلية ويهودية وليست فلسفية. "يعرف" هنا تعني أن يدخل في سرّ الله ..، بمعنى أن يكشف الله عن أسراره ومقاصده من نحو الإنسان.

١٤ واحدة من الإشارات النادرة عن سقوط الإنسان وذبيحة المسيح، فالخطية تُفسّر "ذبيحة" المسيح.

ويسبِّحوه ببهجة على القيثارة، ذات الأوتار المتعدِّدة[١٥].

فليخرج الراؤون إذن لاستقباله،
وليظهروا مسرورين أمام وجهه،
وليسبِّحوه ويمجدوه على محبته،
لأنه قريب منهم وعينه (عليهم) مفتوحة!
فالبغضة من الأرض ستكون منزوعة،
ومع الحسد في قاع البحر مطروحة.
والجهالة وقتئذٍ ستكون مرفوعة،
لأن معرفة الرب صارت موجودة[١٦].

فبالمزامير والتسابيح يرتلون،
ولنعمة الرب المتعالي يشكرون،
وأناشيدهم الحلوة له، يقدِّمون.
وقلوبهم كضياء النهار ينيرون،
وأصواتهم مثل جمال الرب تكون.
ونفوسٌ جاهلة أو بكماء لا يُوجَدون،
فقد أعطى خليقته أفواهًا بها ينطقون،
يفتحوها وبأصواتٍ عذبة إياهُ يمدحون.
اعترفوا لقوته،
وأخبروا بصلاحه.
هَلِّلُويَا!

---

[١٥] الله قد أرسل ابنه للعالم، لكي يُظهر الآب ويكشف صورته للإنسان، وأيضًا ليشرح له عمله في الخليقة حيث يرى فيها يد الله الخالق، ثم ليقود البشر إلى طريق الكمال.

[١٦] جماعة المؤمنين "القديسين" ترتّل نشيد الحمد والشكر لله على عظيم عمله. والقديس كليمندس السكندري يتكلّم عن استنارة المعمودية، فيقول: "الاستنارة هي المعرفة التي نتحصّل عليها، وهي التي تبدّد ظلمات الجهالة." (المربي ١ : ٦).

٨ أحبوا الرب الذي يحبكم

افتحوا، افتحوا قلوبكم[١٧]، لفرح الرب الإله،
ولينساب حبكم متدفقًا، من قلبكم للشفاه،
كي تُثمروا لربكم، نقاوة السيرة وقداسة الحياة،
وتخاطبوا أيضًا نوره، بكل يقظة وانتباه.

قوموا انهضوا، على أرجلكم واقفين!
أنتم الذين كنتم فيما مضى مُذلِّين.
وتكلَّموا يا مَنْ لزمتم الصمت ساكتين،
لأنه قد انفتحت أفواهكم بعد أن كانوا مغلقين،
كذلك يا مَنْ كنتم قبلاً من المُحتَقَرين،
من الآن فصاعدًا، سوف تصيروا مُكرَّمين،
لأنه قد ارتفع شأن برّكم أيها المساكين.

يمين الرب ستكون معكم مرافقة،
وتكون لكم عونًا وقوة مؤازرة.
ولسلام رب الجنود ستكون مانحة،
قبل أن تقوم عليكم الحروب الماحقة.

أصغوا وأنصتوا لسماع كلمة الحقيقة،
واقبلوا علم معرفة العلي سيد الخليقة.
فجسدكم يجهل ما سوف أقوله بعد دقيقة،

---

[١٧] النشيد يبدأ بنصيحة تقدّم للموعوظين؛ وهو يشبه صلاة أو أوشية للموعوظين تُقال في ليتورجية كنيسة أنطاكية.

وقلوبكم أيضًا لن تستوعب بنفس الطريقة
ما سوف أظهره لها ذلك لأنها ضعيفة.

احفظوا سرِّي، فبه تكونون مستورين[١٨].
واحفظوا إيماني، ففيه تكونون محفوظين.
وافهموا معرفتي، يا عارفيَّ بالحق واليقين.

أحبوني حُبًّا ودودًا، يا أصدقائي الأحباء.
فأنا لا أدير وجهي، عن خواصي الأمناء،
لأني أعرفهم، بل سبق وعَرفتهم من الابتداء.

قد طبعت ختمي على جباههم،
وأنا الذي قد صوَّرتُ أعضاءهم.
ومن ثدي السماء قد أعددتُ لهم،
لبنًا مقدَّسًا، يشربونه لغذائهم.
فبه يتجدَّدون، وتنمو حياتهم[١٩].

فيهم تكون كل مسرَّتي،
وبهم لا أخزى أو أستحي،
لأنهم صنعة يدي وجبلتي،
وقوَّة أفكاري، وثمرة حكمتي.

---

[١٨] يمكننا أن نلمح هنا إشارة إلى التعليم السرِّي، والقديس كيرلس الأورشليمي يوصي صراحة بعدم إفشاء التعليم السرِّي لغير المؤمنين (مقدّمة عظاته ١٢ Procatechesis 12).

[١٩] موضوع لبن المعمودية وَرَدَ أيضًا في النشيد رقم (١٩)، ونجد إشارة له في رسالة معلّمنا القديس بطرس الأولى حيث يقول: "كأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلي العديم الغش لكي تنموا به" (١بط ٢ : ٢).

فمَنْ ذا الذي يقوم ضدَّ خليقتي،
أو يشقُّ عليها، عصا الطاعة؟

قد شاءت إرادتي فخلقتُ كمبدعٍ،
العقلَ والقلبَ بغير مانعٍ،
فهما لي دون شريكٍ أو منازعٍ.
وأجلستُ المختارين عن يميني بكل تورعٍ،
وبرِّي يسير أمامهم، كدليل ساطعٍ،
واسمي المدعو عليهم، لن يسلبه أي طامعٍ[20]،
لأنه معهم، بل ومع كل مؤمنٍ طائعٍ.

صلُّوا للربِّ كل حينٍ بنعمتِه،
وأقيموا راسخين دائمًا في محبتِه،
فأنتم محبوبون في ابن محبَّتِه.
وحياتكم مُستترة في حياتِه،
وخلاصكم قد أمَّنَهُ بنجاتِه،
فتوجدون خالدين في حضرتِه،
إلى منتهى الدهور، باسم أبيكم ورحمتِه.
هَلِّلُويَا!

٩ إكليل الحق

افتحوا آذانكم، وأنا سأكلِّمكم بنفسي.
وامنحوني قلبكم، وأنا أعطيكم قلبي،
وأهبكم كلمتي، وأُبين لكم قصدي،

[20] "الاسم" هو المسيح نفسه.

وأشـرح مشيئتي المقدَّسة، من نحو المسيَّا ابني.

فحياتكم في يد الرب كائنة.
وفِكْرُه من جهتكم حياة دائمة،
لذلك فقداستكم فيه كاملة.

كونوا أغنياءَ لله الآب القوي،
وليكن فيكم فكر القدوس العليِّ.
فتشدَّدوا واخلصوا بنعمته وفدائه المجاني،
وها أنا أُبشِّركم بسلامه العجيب السماوي،
الموهوب لكم أيها القديسون أحباء ذاك السني.

فجميع الذين يسمعون أقوال هذه الرسالة،
لن يسقطوا في تجربة، أو ينزلقوا إلى جهالة،
فالذين عرفوه لن يهلكوا أبدًا، أو يدخلوا في ضلالة.
والذين قبلوه لن تخزَى وجوههم في حضرة ذي الجلالة.

الحق إكليل أبدي ليس له نهاية أيام أو سنين[21]،
فطوبى لِمَنْ يكلِّل رأسَهُ، وبه يُغطِّي الجبين.
لأنه مثل لؤلؤة كريمة، أو حجر غالٍ ثمين.
وبسببه قامت الحروب، ومن أجله نُصِبَ الكمين،
فأخذه العدل (الإلهي)، وقلَّده إياكم يا جميع المُتعَبين.
البسوا هذا الإكليل، لتدخلوا مع الرب، في عهدِهِ الجليل.
فجميع الغالبين، أسماؤهم مكتوبة في سفرهِ الجميلِ،

[21] انظر: حاشية رقم ١.

وهذا السفر هو هو، غلبتكم أنتم على العدوِّ الرذيلِ.
فالحق يراكم أمامه، ويشتهي خلاصكم بكل تهليل[٢٢].
هَلِّلُويَا!

١٠ من الأسرِ إلى الحريةِ

الرب قادَ فمي بكلمته الأزلية،
وفتح قلبي بنوره وومضاته السنية.
وأسْكَنَ فيَّ حياته الدائمة الأبدية،
وجعلني أُبشِّر بثمرة خلاصه الشهية.

لكي أهدي جميع النفوس البعيدة،
هذه التي تحن إلى العودة السعيدة.
وأجعل منها أسري لعبودية جديدة،
مُفرحة وسارة وفي نوعها فريدة،
وقادرة أن تعطيهم حقًّا حرية مجيدة.

قد أخذت قوة عظيمة وشجاعة،
وكبَّلت أُممًا واستعبدتها لله ببراعة.
فصارت لي لمجد العلي ولله الآب مُبتاعة،
والشعوب المشتَّتة توحَّدت في جماعة.
حبي لهم لم يُلحق بي أي دنس أو شائبة،

[٢٢] حضٌّ للقديسين على الجهاد، لأن إكليل الحياة الأبدية، إنما هو مذَّخر للمجاهدين فقط كما يقول القديس يوحنا الرائي: "كن أمينًا إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة" (رؤ ٢ : ١٠). واسمهم يكون مكتوبًا في سفر الحياة: "مَنْ يغلب فذلك سيلبس ثيابًا بيضًا ولن أمحو اسمه من سفر الحياة، وسأعترف باسمه أمام أبي وأمام ملائكته" (رؤ ٣ : ٥). انظر أيضًا (خر ٣٢ : ٣٢ و٣٣): "والآن إن غفرت خطيئتهم وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت. فقال الرب لموسى مَنْ أخطأ إليَّ أمحوه من كتابي".

فهم يسبِّحوني في الأعالي مع صفوف الملائكة.
ويحتفظون بآثارٍ من النور في قلوبهم التائبة.
فقد سلكوا طريقي، واشتركوا في حياتي الفائقة،
فنالوا الخلاص، ومعي يدومون في أبدية هانئة.

١١ الفردوس[٢٣]

الرب قد شذَّب قلبي، وها قد بانت أزهاره[٢٤].
وفيه قد نبتت النعمة، وأخرجت للرب أثماره.
فالعلي ختنني بروحه، وكشف مكنون قلبي وأسراره؛
وغمرني بحبِّه، وجرح حبّه صار لي شفاءً وطهارة.

فأخذت أجري على الطريق، طريق الحق والحياة،
أنعَم في سلامه العجيب، من بدايته وحتى منتهاه.
وثبَتُّ راسخًا في معرفته، فليس لي سند سواه،
فهو صخرة الحق، حيث أقامني في رضاه.
قد دَنَتْ من شفتاي، مياه حيَّة ناطقة،
جاءت منحدرة، من ينابيع الرب الفائضة.
فشربت حتى سكرت، من مياه غير مائتة[٢٥]،
سُكرٌ ما أفقدني الوعي، وصارت نفسي غائبة،

[٢٣] هذا النشيد يعالج موضوع الكنيسة كفردوس الله على الأرض. فيصف المعمودية كبداية الطريق الروحي المؤدّي للفردوس، فخلع ملابس الجسد إشارة إلى خلع خطية آدم التي فقد بسببها عدم الموت، فالمُعمَّد الجديد تُنزع عنه ثياب الجسد لكي يلبس من جديد ثياب المجد. وإذا كان الفردوس يشير إلى الكنيسة، فهو أيضًا يشير لنفس كل معمَّد.

[٢٤] الفعل "شذّب" في اللغة السريانية يعني أيضًا: "قَطَعَ وخَتَنَ". والقديس بولس عقد من قبل المقارنة بين الختان والمعمودية عندما قال: "وبه أيضًا ختنتم ختانًا غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح. مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقمتم أيضًا معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات." (كو ٢ : ١١ و١٢).

[٢٥] الشاعر ينسحب من الماء إلى موضوع السُّكْر (الروحي)، لأن الموضوع بعيد كل البعد عن مسألة الخمر.

بل جعلني أمقت الغرور وأجحد العظمة الفارغة.

قد التفَتُّ نحو إلهي العلي بكل كياني،
الذي من جُودِهِ وسخائِهِ الوافر أغناني.
فهجرت هيئة هذا العالم، وحُبِّه الفاني،
وتجرَّدت منها، وطوَّحتها بعيدًا في الأركانِ.
والرب جدَّد حياتي، بثوبِهِ الأبيض الكتاني[٢٦]،
واقتناني له ابنًا، بنورِهِ المُشرق الطوباني.

من العلاء أنعم الرب عليَّ براحةٍ وافرة.
فصرتُ مثل أرضٍ ناضرةٍ، مُزهِرةٍ ومثمِرة.
فكما تنير الشمس على وجه الأرضِ بدائرة،
هكذا أنار الرب عينيَّ، فصارت مُبصرة،
ونَدَى السماء رطَّب وجهي، كما في صبيحةٍ باكرة،
وانتعشت أنفاسي أيضًا، برائحةِ الربِّ العاطرة.

قد نقلني الرب إلى فردوس نعيمِهِ،
حيث غناه وعذوبته وبهجة غُرْسِهِ.
فسجدتُ أمام هيبة مجده، وبهاء عَرْشِهِ،
وقلتُ له طوبى لأولئك المغروسين في أرضِهِ،
بل طوبى للذين يجدون موضعًا في فردوسِهِ؛
وكل مَنْ ينبت وسط أشجارِهِ وغروسِهِ[٢٧]،

---

[٢٦] التجرُّد من الملابس، ثم إعادة ارتداء ملابس جديدة، ثم التجديد، فالاستنارة هذه كلها تُفهَم هنا في إطار خبرة المعمودية.

[٢٧] شجرة المعرفة غُرِسَت في الفردوس، والصدِّيق مثل شجرة مغروسة على مجاري المياه (مز ١ : ٣)؛ انظر أيضًا: (رؤ ٢ : ٧): "مَنْ يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة

والــذي ينتقل مــن الظلمات إلى مجدِ نوره.

جميع العاملين معكَ هم نُخبَة عظيمة،
ذلك لأنهم يُنجزون أعمالاً كلها جليلة،
فهم يرجعون عن أعمال الظلمة البغيضة،
لكي يتذوَّقوا حلاوتك، وعشرتك الحميمة.
وطرحوا عنهم الشجرة المُرَّة، بثمرتها المميتَة،
عندما صاروا مغروسين في أرضِكَ الجديدة.

قد صارت الأرض كلها مثل أثرٍ منك قديم،
تحمل تذكارًا أبديًّا لعمل محبتك المستديم.
فموضع فردوسك هذا، لهو بلا شك عظيم،
إذ ليس فيه شيء غير مثمر، أو عقيم،
فالكل يعجُّ بالثمرِ المتكاثرِ، والخيرِ العميم.

المجد لكَ يا الله القدوس،
فإلى الأبد أنتَ حلاوة الفردوس.
هَللُّويَا!

١٢ كلمة الحق

الرب قد ملأ فمي بكلام الحق الناصع[٢٨]؛
كي أستطيع أن أُبشِّر بهِ أُذُن كل سامع.

التي في وسط فردوس الله"؛ وأيضًا انظر: (تك ٢ : ٩): "وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهيَّة للنظر وجيدة للأكل. وشجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر."

[٢٨] النشيد يعرض للاهوت الكلمة حيث دمج صفاته الخاصة المميزة، وإرساليته وعمله في الخليقة، في تآلف مع المحبة والمعرفة.

فكمثل المياه الجارية، من دونِ عائقٍ أو مانعٍ؛
هكذا ينساب الحق من فمي بمنطوقٍ وادعٍ،
وكذا شفتاي تكشفان أيضًا عن ثمرِهِ اليانع[٢٩].
لأنه قد أفاض في عِلم معرفتِهِ الواسع.

لأن فم الرب هو "الكلمة" الحقيقي،
وهو الباب المؤدِّي إلى نورِهِ البهي.
قد أرسله الآب المتعالي للعالم البشري[٣٠]:

للذين يُترجمون صورة جمالِهِ،
والذين يُخبرون بعظمةِ جلالِهِ،
والذين هم رُسُل مقاصدِهِ وتدابيرِهِ،
والذين يبشِّرون بفكرِهِ وإنجيلِهِ،
هم رسل آياته وجليل أعمالِهِ.

فَرِقَّة "الكلمة" لا يسوغ أن يُعبَّر عنها بالكلماتِ،
فكمثل نُطقِهِ هكذا رِقَّتِهِ وسرعتِهِ في الاستجاباتِ[٣١].

وامتداده ليس له من نهاية أو حدٍّ أو تخوم،
فهو لا يسقط مطلقًا، بل يبقى على الدوام قيُّوم.

---

[٢٩] انظر نشيد رقم (٨)، وكذلك ما جاء في رسالة العبرانيين، حيث يقول معلّمنا بولس الرسول: "فلنُقدِّم به في كل حين لله ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه." (عب ١٣ : ١٥).

[٣٠] الكلمة السريانية ممكن أن تُترجَم: عالم، عمر، جيل، أما الكلمة الفرنسية (monde) فهي تشمل البشر والعالم.

[٣١] هذا الوصف "للكلمة" يمكن أن يتقارب مع ما جاء في رسالة العبرانيين: "لأن كلمة الله حيَّة وفعَّالة وأمضَى من كل سيف ذي حدَّين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميِّزة أفكار القلب ونياته." (عب ٤ : ١٢).

وسرّ تنازله يعسر فهمه، وطريقه تحوطه الغيوم.
وكما أن عمله لا ينقطع، فهكذا آخرته تدوم.

فهو النور الحقيقي الذي يُنْهِض الفكر المُغْتِم،
وفيه تتلاقى الأجيال، في حوار بالودّ مفعم،
فقد وجدوا "الكلمة"، بعد زمان الصمت والتلعثُم،
لأنه أصل المحبة، ومنه يأتي كل انسجام وتنعُّم.

فتكلَّم كل واحد مع صاحبه بمودَّة،
ونطق بما أوحَى به ابن الله "الكلمة".
فتعرَّفوا على خالقهم، كلِّي القدرة،
لأن جميعهم كانوا في محبة وأُلفة.

لأن فم الرب العالي كلَّمهم باقتدار،
فأعطى قوله ثمرًا بفعل نعمته الجبَّار.
أمَّا سُكنَى "الكلمة"، إنما في الإنسان البار،
فهو الحق وهو الحب مع باقي الثمار.

فطوبى لجميع الذين من خلاله؛
استطاعوا أن يدركوا كل أسراره،
ويتعرَّفوا على الرب في ملءِ حقِّه.
هَلِّلُويَا!

١٣ الرب مرآتنا

ها إن الرب هو مرآتنا العاكسة،
فافتحوا عيونكم التي دامت ناعسة،
تأملوها مَليًّا في نور عينه الفاحصة،
وتعلَّموا كيف تكون وجوهكم مُتقدِّسة!

أعطوا مجدًا لروحه جَهْرًا!
وامحوا قَذَر وجوهكُم فورًا،
وأحبوا قداسته وألبسوها ثوبًا،
وكونوا بلا عيب في مَحْضَرِهِ دومًا.
هَلِّلُويَا!

١٤ الحاجة إلى الابن

مثلما تتطلَّع عيون الابن نحو أبيه في توسُّلٍ ورجاء،
هكذا يا رب ارفع عيني دائمًا نحوك يا ساكن السماء.
فمعك أجد لذَّتي، وفيك تكون سعادتي، وملء الهناء.

فلا تُبعد عني يا رب رحمتك،
ولا تنزع عني عظيم جودتك.
بل أمدِد لي يا سيدي يد معونتك،
وابسط لي على الدوام يمين قوَّتك.
وكن مُرشدي للمنتهى بتدبير حكمتك،
لأمشي حسب إرادتك ووِفق مشيئتك.

ليتني أجد نعمة يا ربُّ في عينك،
فمن أجل مجدك وكرامة اسمك،
خلِّص نفسي من الشرير المُهلِك.
يارَبُّ!

لتسكن في أعماق قلبي وداعتك،
ولتحمل أحشائي ثمار محبتك.

وعلِّمني أن أُرتِّل أناشيد حقِّك،
وأصنع ثمارًا هي من يدك وصُنعِك.
فحرِّك أوتار قيثارة روح قدسك،
كي بجميع النغمات الشجيَّة أُسبِّحك.
وبحسب غناك في المجد وكثرة مراحمك،
امنحني من عطفك وجزيل إحسانك.

أسرع يا ربي واستجب لصراخ صلواتنا،
فأنت القادر أن تصنع كل شيء لمنفعتنا.
هَلِّلُويَا!

١٥ الرب هو شمسي

كما أن الشمس هي فرح المنتظرين بزوغ النهار،
كذلك فرحي هو بالرب البار،
شمسي وكوكب الصبح النوَّار.
فأشعته المطهِّرة قد أقامتني من رقادي باقتدار،
ونوره العجيب، بدَّدَ عن وجهي كل ظلمة وعار.

قد أعطاني عيونًا جديدة، فرأيت بها يوم قُدسِهِ،
ووهبني آذانًا مُصغية، فسمعت بها كلمة حقّه،
ومنحني عِلْم معرفته، فابتهجت نفسي وسُرَّت به.

فَنَبَذْتُ عني طريق الشر ومعيشة الضلال،
وذهبت له مهرولًا وسجدت تحت قدميه بإجلال،
فأخذت من سخائهِ خلاصًا ثمينًا لا يُقدَّر بمال.
وبحسب عطفه، أجزل لي العطاء بلا مكيال،
فعلى صورته الجميلة، صاغني شبهًا له ومثال.
و في اسمه كساني ثوب برٍّ لا يَعْرِفُ الاضمحلال،
فهجرت بنعمته أعمال الفساد، وحياةَ الظلال.

قد غاب الموت من أمام وجهي وفَقَدَ سطوتَهُ،
والهاوية تلاشت بكلمتي، والجحيم أَبْطَلتُ هيبتَهُ،
وحياة أبدية قد قامت في أرض ربي وملأت جنتَهُ.
قد أُظْهِرَت للمؤمنين به، وأنارت خاصته،
وأُعطِيَتْ للذين وثقوا به، فصاروا غنمه ورعيته.
هَلِّلُويَا!

١٦ عجائب الرب وآياته

إذا كان جَرُّ المحراث هو عمل الفلاح الريفي،
ومَسْكُ الدَّفة ورفع الصاري عمل الرُّبان البحري،
فترتيل الرب صناعتي، وتسبيحه هو عملي الأساسي.
فالحب الذي ملأ قلبي، دفع بثماره لتخرج من شفتيَّ.

فالرب هو حبِّي، وتمجيده شهوة مغروسة في كياني،
وفي تسبيحه تكمن قوَّتي، وبه يَتَشَدَّد ويترسَّخ إيماني.
سأفتح فمي، وروحه القدوس سوف ينطق على لساني،
ليُخبر عن مجد الرب، ويحكي عن بهائه الفوقاني،

وعن صُنع أصابعه، وعمل أياديه النقية،
وعن سخاء مراحمه، وسلطان كلمته القوية.
فكلمته تفحص المستور، وتكشف النيَّات الخفية.

فالعين ترى في الواقع بديع أعماله،
والأُذن تتسمَّع بشغف لصوت أفكاره.
فهو الذي أسَّس الأرض المنبسطة، بحُسن تدبيره،
وملأ البحر بالماء، ووضع تُخمًا لأمواجه.
ونشر السماء من فوق، وثبَّت النجم في فُلكه،
وأبدع الخليقة كلها بكلمة خرجت من فمه.
ثم استراح أخيرًا، بعد أن أكمل كل عَمَله.

فالمخلوقات تدور بسرعة، كل في مجالها،
لكي تُنجز بدقَّة جميع الأعمال المنوطة بها،
لا تعرف توقُّفًا، ولا يتسرَّب الكسل لنفسها،
والجيوش العلوية خاضعة لكلمته بحرْفها.
ومخازن النور كائنة في الشمس بشعاعها،
وذخيرة الظلمة مخبوءة في الليالي بطولها.

لأنه خلق الشمس لضياء النهار منذ القديم،

ثم يُخيِّم الليل على وجه الأرض بالظلام البهيم.
وتعاقب الواحد بالآخر، يُشيد ببهاء الله العظيم.

ليس شيء يوجد خارجًا عن دائرة الرب وإرادته،
فهو كائن قبل كون الأشياء منذ الأزل بلاهوتيته،
والعالمين قد تكوَّنت بكلمة فمه وقصد قلبه ومشيئته،
فالمجد والإكرام، لائقان على الدوام باسمه وعظمته.
هَلِّلُويَا!

١٧ قد كسرتُ المتاريس الحديدية

إلهي قد كلَّلني، وإكليلي حيٌّ بلا فناء أو عدم.
ربي قد برَّرني، وخلاصي بلا فساد أو ندم.

قد تَحرَّرت من الزهوِ والغرورِ وآفة الكبرياءِ،
لذلك لن أُدان بعد مع الممسوكين في هذا الداء.
وكل رُبطي قطعها بيده، وخلَّصني من كل بلاء،
وأخذت صورة إنسان جديد، بعدما بيَّضت الرداء.
ووجَّهتُ خطواتي نحوه فخلُصْتُ بلا تعب أو عناء.
قد قادني فكر الحق، فتبِعْتُه بخضوع وإذعان،
فما زلَّتْ قدماي أو ضلَّتْ، ولا جنحت خطواتي للمَيلان.
وجميع الذين رأوني، قد اندهلوا وأصابهم التوهان،
فقد بديت غريبًا، أعوزهم لمعرفتي الدليل والبرهان.

الرب العالي وحده قد عرفني،
وليوصلني لملء كماله درَّبني.

وفي لطفه ودعته مجَّدني وكرَّمني،
ورفع روحي وإلى سمو حقِّه رقَّاني.

ومن هنا، أعطاني الطريق لأمشي في خطواته،
ففتحت أبوابًا طالما كانت بالمزاليج مغلَّقة،
وكسَّرت متاريسها الحديدية فذابت قدَّامي منصهرة،
وكل الأقفال تفتَّحت، وانهارت وسقطت مُحطَّمة،
لأني أنا هو الباب، ومعي مفاتيح كل الأشياء الموصدة.

فذهبت أكرز للمأسورين بالعتقِ من الإذلالِ،
فحللت قيودهم، وما تركت أحدهم مربوطًا بأغلال.
وأعطيتهم معرفتي، وأريتهم محبتي وقيامتي بجلال.

قد زرعت ثماري في القلوب، فتغيَّرت فيَّ للتجديد،
وأخذوا نعمتي فأحيتهم، وانجمعوا فيَّ لخلاص أكيد،
وصاروا أعضاء جسدي، وأنا صرت رأسهم الجديد.
المجد لك يا رأسنا، أيها المسيح الرب المجيد.
هَلِّلُويَا!

١٨ الشفاء

قد ارتفع قلبي بحب العلي، فمحبته؛
قد غمرتني، ففتحت فمي لأُسبِّحه.
وأعضائي تشدَّدت بفعلِ نعمته،
ولن تخيب أبدًا من عمل قوَّته.
والأمراض فارقت جسدي، برحمته،
وهو يقف الآن ثابتًا، في الرب بإرادته،

لأن ملكوته قد تثبَّت، بقوَّة عزَّته.

آه يا رب! من أجل المحتاجين والفقراء،
لا تُبعد عني كلمتك التي فيها الشفاء.
وبسبب أعمالهم، التي اقترفوها بغباء،
لا تمنع عني كمالك وتحرمهم من الفداء.

ليت النور لا يُقهَرُ من سطوة الظلام البهيم،
ولا يهربُ الحقُّ متراجعًا أمام الكذب اللئيم!
فيمينه ستؤولُ حتمًا بخلاصنا لانتصار عظيم.
فأنت تُرحِّب بالراجعين من كل موضع بفرح عميم،
وسوف تحفظهم من شرِّ البليةِ وكلِّ وبالٍ وخيم.

أنت لا تعرف الخطية، وهي أيضًا لا تعرفك،
والجهل ما هو إلا تراب أرض تطأه بقدمك،
فهو شبيه بمياه بحرٍ مزبدة لا يمكن أن تَقْرُبك.

الذين يتصوَّرون الجهالة عظيمة، هم أُناس واهمون،
فعندما حاولوا أن يتشبَّهوا بها، فمثلها يبطلون.
أما الحكماء فقد تفهَّموا حقيقتها وأخذوا يتفكَّرون،
لكن أفكارهم ما تلوثت (بها) لأنهم قوم طاهرون.
ولأنه كان لهم فكر العلي، السيد والمُعَلِّم،
ضحكوا هزءًا بمَنْ يمشون في درب الخطية المُظلم.
وكلَّموهم بكلمة الحق، التي أوحَى بها العلي المُلْهِم.
فالمجد والتسبيح يليق باسمك يا إلهنا المعظَّم.
هَلِّلُويَا!

١٩ كأس الرب

قد أعطيت كأسًا من لبن غير مغشوش،
فشربته في حلاوة الرب، ووجهه البشوش.
فالابن، هو ذلك الكأس الذهبي المنقوش،
والآب، هو الذي حُلِبَ وأمام حبه أنا مدهوش،
والروح القدس هو الذي حَلَبَه لخلاص الجيوش؛
فثدياه كانا يغُصَّان بلبن تهتز له العروش.
ما كان ليُفقَد دون أن يروي القلب العطوش.

فالروح القدس قد فتح للآب صدره،
ومزج لبن ثدييه الخارج من عمق قلبه،
ووهب الخليط للعالم دون أن يُعرِّفه كُنهَهُ؛
فالذين قبلوه أعطاهم أن يصيروا أبناءه،
هؤلاء سوف يشاركونه خيرات ملء يمينه.
قد وُجِدَتْ أحشاء العذراء مُخصَبة،
فحبِلَت وولدت، وصارت أُمًّا مُكرَّمة،
وحَظِيَت بمراحم كثيرة ونالت نعمة معظَّمة.

قد أتت الساعة فولدَت ابنًا بغير وجيعة،
وهذا أمر غريب، لا يحدث أبدًا بدون علَّة،
ولم تحتجْ قابلة، ولا طلبت أية معونةٍ،
لأنه منحها أن تُخرج الحياة من حشا بتوليةٍ.

لقد ولدته حسب المشيئة والتدبير، كإنسانٍ،

بعد أن حبلت به، بموجب بشارة وإعلانٍ،
واقتنته ابنًا، بقوة عظيمة ظللتها في كل مكانٍ،
وأحبَّته في سلام، من كل القلب والوجدان.

وقد راعته في طفولته بشفقة بالغة وحنان،
ثم أظهرته في عظمته ومجده بوضوح وجليان.
هَلِّلُويَا!

٢٠ الذبيحة الروحية

أنا كاهنٌ للرب، أُقدِّم له خدمة كهنوتي الروحية.
أُقرِّبُ له ذبيحة فكْرِه، ففكرُهُ
ليس مثل الأفكار العالمية،
ولا هو مادي، أو كفكر الذين يعبدونه عبادة جسدانية.

فذبيحة الرب هي البِرُّ، وطهارة القلب ونقاوة الشفاه.
فقدِّم له خفايا قلبك وكليتيك،
ذبيحة بلا عيب أو مُراءاة،
ولا تُحزن قلب أحدٍ، أو تجور على نفسٍ أيًّا كانت المَدْعَاة!

ولا تبتاع الغريب بثمن نفسك، فتظلمهُ،
ولا تحاول أن تخدع قريبك، أو تغويه وتُضلِّلهُ،
ولا تسلبه الرداء الذي يغطيه ويستر عُريَهُ.

لكن اكتسِ بالرب وتسربل بنعمتهِ،
وتعال راجعًا لفردوسه ونعيم أبديته،

واصنع لنفسك إكليلًا من شجرة معرفته،
وضعه على رأسك وأنت قائمٌ في حضرته.
وكن سعيدًا واتكئ في حضن راحته.

عندئذ سوف يسبق مجد الرب ويتقدَّمك،
ومن دعته ونعمته سوف تشبع نفسك،
وسوف تُزهر في الحق، وتتقدَّس حياتك،
عندما ينفتح فمك ويُسبِّح قداسته، لسانك.
فالمجد والإكرام لاسمه!
هَلِّلُويَا!

٢١ معتوق الرب

رفعتُ يديَّ نحو إحسانات الرب ساكن السماء.
الذي فك قيودي، وطوَّحها بعيدًا في الخلاء،
فمعيني قد رفعني بعمل نعمته وخلاصه إلى العلاء.
فخلعت عني الظلمة بأعمالها غير المثمرة،
والتحفتُ بالنور بدءًا لحياة جديدة طاهرة؛
وأخذت أعضاءً، للأوجاع والأحزان غير قابلة.

قد أغاثني الرب كثيرًا بفكره وحكمتِهِ،
كذلك أعانني باتحاده الدائم معي وشركَتِهِ.

نوره الحقيقي قد رفعني إلى عزَّتِهِ،
فسِرتُ قُدمًا بجرأةٍ أنعم بمعيَّتِهِ،
ولسوف أدنو أكثر فأكثر من حضرَتِهِ،

وأنــا أُسـبِّـحـهُ وأُمجِّـــدهُ عـلـى فـائـقِ محـبـتِـهِ.

لـقـد فــاضَ قـلـبي حُـبًّـا لـسـيـدي الـرب،
فـطـفـق فـمـي يـنـطـق جـهـرًا بـمـكـنـون الـقـلـبِ،
وتـدفَّـقـتْ عـلـى شـفـتيَّ بـغـنًّـى أنـاشـيـد الحـبِّ.

مـديـح الـرب وتـسـبـيـحـهُ مـلأنـي بـالـفـرح،
لـذا فـقـد تـهـلَّـل قـلـبي ووجـهـي وانـشـرح،
هَلِّلُويَا!

٢٢ النُّصرة على التِّنين

هـو الـذي مـن أعـالـي الـسـمـاء أنـزلـني،
وأيـضًـا مـن المـواضـع الـسُّـفـلـيـة أصـعـدني؛
وهـو الـذي يجـمـع مـا هـو وسـطـاني[٣٢]،
وإلى يـديَّ دفـعـه، وإيـاه أعـطـاني.

قـد شـتَّـتَ جميع أعـدائـي، ومـعـانـديَّ الأقـويـاء فـرَّقـهـم،
وأعطاني سلطانًا على القيود والأغلال المتينة فحللتهم،
والـتـنـين الـوحـش مـع رؤوسـه الـسـبـعـة، بـيـديَّ قَـتَـلَـهُـم؛
وجـعـلَـني أدوس بـقـدمـيَّ أصـولـه، وجـذوره احـتـقـرهـم،
فـحـطَّـمـتُ زرعـه الـفـاسـد، وبـذاره المميتة قـد أبـادتـهـم.
كنتَ دائمًا بجانبي، وأنقذتني من أعدائي وأهلكتهم.
وأحاطَني باسمك من كل جهة، والعراقيل الصعبة ذلَّلتهم،

[٣٢] المسيح يقول إن الآب هو الذي أنزله من السماء وأصعده (أف ٤ : ١٠)، وهو الذي دفع إليه ما هو وسطاني أي العالم ليخلصه (لو ١٠ : ٢٢).

فيمينك حلَّت سم الشرير، وتدابيره الخبيثة أبطَلَتْهم،
ومهَّدت الطريق للأمناء، والشعاب الوعرة سهَّلتهم،
فهؤلاء هم الذين يؤمنون بك، ويولونك كامل ثقتهم.
من بين القبور قد اخترتهم، وعن باقي الأموات أفرزتهم؛
وأخذت عظامًا يابسة، بَسَطتُ
عليهم لحمًا وبالجلدِ كسوتهم،
غير أنهم ما زالوا بلا حراك، يرقدون نيامًا في سُباتهم،
فأعطيتهم قوة حياة، فقاموا ونهضوا من رقاد مواتهم.

غير فاسد هو طريقك، وخالد هو نور وجهك،
لكن الفساد عمَّ على الكل وأبطل نقاوة خليقتك،
فالعالم الذي قد هلك، يعود ويتجدَّد بمختارك،
ويتأسَّس كل شيء فيه، ويقوم على صخرتك.
التي شيَّدتَ عليها ملكوتك، وموضع راحتك،
فصار مسكنًا لقديسيك، والعذارى التي أحبَّتك.
هَلِّلُويَا!

٢٣ رسالة من السماء

الفرح إنما هو كنز القديسين؛
فمَنْ ذا الذي سيلتحف به سوى أولئك
الذين كانوا قبلاً من المجاهدين؟
والنعمة إنما هي عطية المختارين؛
فمَنْ ذا الذي سينالها سوى أولئك
الذين كانوا من الأساس فيها واثقين؟
والمحبة إنما هي سِمَة المنتخبين؛
فمَنْ ذا الذي سيكتسي بها سوى

أولــئــك الــذيــن كــانــوا أصــلًا لهــا حــائــزيــن؟

جِــدُّوا في طـريـق الــرب وعـلـم معـرفته الحقيقية،
وعندئذ ستتعرَّفون جيدًا على عطايا نعمته السخية،
حيث تـدركـون فـرحـه، ومعـرفـتـه الـكـامـلـة الإلهية.

فـمـقـاصـده الأزلـيـة كـانـت مـثـل رسـالـة[٣٣]،
شـقَّـت الـسـمـاء ونـزلـت مـثـل سـهـم أو نُـشَّـابَـة؛
انـطـلـقـت مـن قـوس بـقـوةٍ وعـزيـمـةٍ وثَّـابـةٍ.

فـامـتـدت أيـادٍ كـثـيرة وتـدافـعـت بـغـيـة أن تقتنيها،
تحـاول أن تخطفها وتـقـرأهـا لـتـتـعـرَّف عـلـى معانيها.
فأفلتت مـن بـين الأصـابـع والأيـادي عجزت أن تحتويها،
والـقـلـوب ذابـت مـن خـوفـهـا، واحـتـار الجـمـيـع فيها،
وكذلك أرهبهم ختمها، ومـا استطاعوا فكَّ مغاليقها؛
لأن قـوَّتـهـم عـجـزت أن تـبـاري قـوَّة الخـتـم أو تجاريها.

والـذيـن شـاهـدوا الـرسـالـة، تـابـعـوا الـسـير خـلـفـهـا،
عـسـى أن يـعـرفـوا أيـن تمـكـث، ومـا هـو مـسـتـقـرُّهـا،
وكـذلـك مَـنْ سيحظَى بـقـراءتـهـا، ويـسـمـع لـكـلامـهـا.
وإذا بِـعَـجَـلَـةٍ تـتـلـقَّـاهـا، وتمـر عـلـيـهـا بـأحـزان[٣٤]؛
والـعَـجَـلَـة مـا كـانـت سـوى آيـة للملوكية والسلطان.

[٣٣] المقصود هنا بـ "الرسالة" هو المسيح، كلمة الله، النازل من السماء.

[٣٤] المقصود غالبًا من العَجَلة هو صليب ربنا يسوع المسيح الذي اعتُبِرَ في الأجيال المسيحية الأولى أنه بمثابة آلة (ماكينة) ترفع المؤمنين إلى فوق، بحسب قول الرب: "وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع" (يو ١٢ : ٣٢). فيقول مثلاً القديس إغناطيوس الأنطاكي: "أنتم حجارة هيكل الآب، المهيَّأة لبناء بيت الله الآب، ويتم رفعكم إلى أعلى بآلة (ماكينة) يسوع المسيح التي هي الصليب المتحرِّكة بسيور الروح القدس." (إلى أفسس ٩ : ١).

وكل شيء اعترضها، حصدته ومزَّقته وصار كالدخان.

وضمَّت في حزمة قوية جمعًا من الخصوم الألداء؛
وردمت أنهارًا كثيرة، واجتازتها دون عناء،
وأزالت غابات بأكملها، وشقَّت فيها طريقًا رحباء،
والرأس نزلت متواضعة، تغسل أقدام الأحباء والأعداء،
والعَجَلَة أسرعت عند القدم، متوجهة نحو الرأس العلياء.

وحيث إنَّ الرسالة على وصية واحدة، قد احتوت:
فمِنْ ثمَّ كل الشعوب والأُمم
تجمَّعت، ولجسد واحد تعاهدت.
وعلى قمة هذا الجسد، ظهر الرأس وحقيقته تكشَّفَت،
إنه الابن الحقيقي وصورة الآب الملك التي تجسَّدت.
فالعالم صار له ميراثًا، وتدابير الأشرار للعدم انتهت،
وكل العُصاة والمعاندين تفرَّقوا
وحياتهم للهلاك استوجبت،
والذين اضطهدوه قد فنوا، وشأفتهم قد استؤصِلَت.
وإذ بالرسالة تصير لوحًا مخلَّدًا،
مكتوبًا بإصبع الله، وبيده مُحررًا.
واسم الله عليه، منقوشًا ومُسجَّلاً،
مع الابن والروح القدس، ثالوثًا مكمَّلًا،
يملك إلى دهر الدهور إلهًا مكرَّمًا،
هَلِّلُويَا!

٢٤ اللُّجج الإلهيّة

علـى مسيـح الـرب حلَّـت الحمـامـة ورَفـرفَـت[٣٥]،
ولأنــه كــان رأسـهـا، جــاءت فـوقـه وغــرَّدت،
والخـلـيـقـة سمـعـت صـوتـهـا، ومــن رهـبـتـه تجـمَّـدت.

فقد استولى الخـوف على جميع السكان القريبين،
أما الغرباء البعيدون، فمن رعدتهم صاروا كالمائتين،
والطيور بسطت أجنحتها، وللطيران تأهبوا مستعدين،
أما الـزواحـف في مغائرها، فتحوَّلت إلى عظام بالية.
قد فتحت الهاوية أبوابها، إذ كانت بالأسرى ممتلئة،
ودَعَتْ إليها المخلِّص متوسِّلة، مثل التي تلد متمخِّضة[٣٦]،
وكطعام لم يتقبَّله جوفها، لأنه لا ينتمي لها بأيَّة صِلة.
فـالـهـاويـة بـعـمـل الـــرب، قــد انـغـمـرت.
وحـالـتـهـا الأولى قــد تـلاشـت وانــدثـــرت،
فـفـي الـبـدايـة، في عـمـل وتـعـب كـانـت،
وفي الـنـهـايـة، إلى حـيـاة وراحـــة صـــارت[٣٧]،

فـكـل مـا هـو عـتـيـق قـد انـتـهـى إلى فـنـاء،
لأنــه رفـض الـكـلـمـة، أصـل الـوجـود والـبـقـاء.

---

[٣٥] يبدأ النشيد بإشارة إلى معمودية المسيح في نهر الأردن ثم يصف بأسلوب فيه بعض التورية عمل المسيح الذي قهر كل القوات المضادة.

[٣٦] المقصود هنا الجحيم الذي ينتظر زيارة المخلِّص. والشاعر يصوِّر الخلاص كحالة ولادة لعالم جديد، وهي نفس الصورة التي جاءت في رسالة رومية عن خلاص العالم: "لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله، ... لأن الخليقة نفسها أيضًا ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخَّض معًا إلى الآن" (رو ٨ : ١٩ - ٢٣).

[٣٧] نصرة الحياة على قوات الهلاك.

فالرب قد بدَّد كل تدابير وخطط وأهواء،
أولئك الذين لم يسكنهم بعد الحق والرجاء[٣٨].

فالذين ارتفعوا بفكر قلوبهم وصاروا متعظِّمين،
هؤلاء أعوزتهم الحكمة، فصاروا من الجاهلين.
لذا فقد رُفضوا وأصبحوا من صفوف المرذولين،
لأن روح الحق فارقهم، وصاروا عنه متغرِّبين.

الرب كشف النقاب عن طريقه،
ووسَّع السُّبُلَ لعمل نعمتِه،
فالذين أدركوا أعمال رحمتِه،
هم الذين تعرَّفوا على قداستِه.
هَلِّلُويَا!

٢٥ الخلاص

ها قد تحلَّلتُ من كل قيودي وأغلالي،
وهَرَبْتُ إليك يا الله، فأنت ملجئي وملاذي،
وأنت يمين قوَّتي، وأيضًا معيني وخلاصي.

فقد ردعت الذين قاموا عليَّ وجاروا،
فاختفوا من الساحة، وعن الأنظار تواروا.
ووجهك كان نحوي، عندما هَبُّوا وثاروا،
فَخَلُصْتُ بنعمتك، وإنْ تقمقموا واحتاروا.

[٣٨] عمل المسيح هو "علامة تُقاوم" (لو٢ : ٣٤). فالبعض تعرَّف عليه وقَبِلَه، أما القوات المعاندة فقد رفضته.

كنت مُحْتَقَرًا ومرذولًا في عيون الكثيرين.
وكانوا يرونني مثل قطع من رصاص خاملين،
أما أنت فقد أعطيتني قوّة ومعونة فائقين.

وأضأتَ سراجًا ووضعتَهُ عن يميني وآخر عن يسار[39]،
ليكون كل شيء فيَّ مُنيرًا،
كضياء الشمس في وضح النهار.

أنا قد اكتسيتُ برداء روحك القدوس،
بعدما نزعتَ عنّي ثوب جلدي المنجوس[40].
وها يمينك قد رفعتني إلى علو الفردوس،
وطرَدَتْ بعيدًا عني، مرض الموت الميئوس.

ها إني قد صرت قويًّا في حقِّكَ، وبِرُّكَ قدَّسني؛
وكل الذين قاموا ضدِّي، قد هربوا وابتعدوا عني،
فهذا عمل الرب وحدَهُ، فليتعظَّم اسمه فهو حصني.
ولتَدُم راحته إلى دهر الدهور، لأنه برحمته برَّرني.
هَلِّلُويَا!

٢٦ عجائب الرب

من بين شفتيَّ قد انساب للرب نشيدُ حمد وتسبيح،
ولأني من خاصته، فأنا أُرتِّل نشيد التقديس والمديح.

[39] ربما يشير هنا للأنوار التي كانت تحيط بأجران المعمودية، كما ذكَرَت عنها كتب الطقس.

[40] موضوع "ثياب الجلد" وردت الإشارة عنه في سفر التكوين: "وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما" (تك ٣ : ٢١). ثم هي تذكّرنا بآن واحد بسقوط الإنسان مع دوام رحمة الله. وفي طقس المعمودية يخلع المؤمن "ثوب الجلد" (أي الإنسان العتيق)، ليلبس رداء عدم الموت (أي الإنسان الجديد).

وطالما قلبي معه وقيثارته في يديَّ، ففي ذلك أستريح،
فأناشيد راحته لا نهاية لها ولن تذهب أدراج الريح[٤١].

فأنا أصرخ إليه وأدعوه من كل قلبي ووجداني،
وأُسبِّحه وأُعظِّمه من عمق وجودي وكياني.
فمن المشرق وإلى المغرب يحق له التسبيح الفوقاني.
ومن الجنوب وإلى الشمال يُقدَّم له الشكر الحقّاني.
لأنه من قمَّة السماء إلى قاعدتها يتألَّق كماله الرباني.
مَنِ الذي يقدر أن يكتب أناشيد الرب؟
ومَنْ هو كفؤٌ لأن يقرأها بكل الحب؟
مَنْ يقدر أن يتلقَّن أُسس الخلاص ومنها يعب،
لكي تنجو نفسه من القصاص وظلمة الجب؟
مَنْ يستطيع أن يستحث العليَّ بعزم القلب،
حتى يفتح فمه الإلهيَّ ويتكلم بسعة ورحب؟
فمَنْ يستطيع أن يشرح عجائب رب الجنود؟
فالشارح يفنى حتمًا، ويزول عن الوجود.
أما المشروح فإنه يبقى ويدوم في خلود.

فالآن تكفي المعرفة، مع الهدوء والسكون،
- فالمُسبِّحون تلزمهم السكينة ولها يحتاجون -
مثل غدير ماء من ينابيع غزيرة وعيون،
ينساب مُترقرِقًا لفائدة الذين عنه يبحثون.
هَلِّلُويَا!

[٤١] ينبغي ملاحظة التركيز على كلمة "الراحة"، لأنها تتكرَّر كثيرًا في الأناشيد؛ حتى إن بعض المفسِّرين أرادوا أن يُعَنونوا أناشيد سليمان بـ "أناشيد راحة الرب".

٢٧ الأيادي المـمدودة

قـد بـسطـت ذراعـي، وشـرعـت أقـدّس ربّـي،
فـالأيـادي المـمـدودة هـي عـلامـتـه، وسـرُّ فـخـري.
أمـا الخـشـبـة المنـصـوبـة، فـهـي امـتـدادي وعـزّي[٤٢].
هَلِّلُويَا!

٢٨ قُبلة الحياة

مـثـلـمـا تحـتـضـن أجـنـحـة الحـمـام صـغـار فـراخـهـا،
وكـمـا تـتـطـلّع أفـواه صـغـارهـا نحـو أفـواه أُمـهـاتـهـا،
هـكـذا أيـضًـا أجـنـحـة الـروح تحـتـضـن قـلـبي بحنانها.
فـتـفـرح الـقـلـوب ومـن الـبـهـجـة يـزداد خـفـقـانـهـا،
مـثـل جـنـين في بـطـن أُمِّـه يـطـفـرُ فـرحًـا في أحـشـائـهـا[٤٣].
آمـنـتُ ولـذا فَـرَاحَـةٌ كـبـيـرةٌ قـد وجَـدْتُ،
فـأمـينٌ هـو ذاك الـذي فـيـه قـد وثـقـتُ[٤٤].
وقـد بـاركـني بـركـة عظيمة، فـبرأسـي نحـوه الـتـفـتُّ.
ولـن يفصلني عنه خنجر أو سـيـف، أو خطر أو مـوتُ.

قـد أعـددت نـفـسـي قَـبـل أن يـأتـي عـلـيَّ المـمـات،

---

[٤٢] الصلاة بالأيدي الممدودة تصوّر الإنسان المسيحي مصلوبًا على صليب المسيح، الذي هو علامة ثقة وأمان له (انظر: رسالة برنابا ١٢).

[٤٣] الروح في اللغة السريانية، كما في العبرية، تأتي مؤنّثة، الأمر الذي يسّر هنا عقد المقارنة بينها وبين الحمامة الحاضنة. وصورة الروح الحاضنة نستشفها أيضًا من سفر التكوين: "وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه" (تك ١ : ٣). كذلك يمكن أن تكون هنا إشارة إلى حلول الروح القدس على المعمدان في بطن أمه: "فلما سمعت أليصابات سلام مريم، ارتكض الجنين في بطنها وامتلأت أليصابات من الروح القدس" (لو ١ : ٤١).

[٤٤] انظر: (١كو ١ : ٩): "أمين هو الله الذي به دُعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا."

وفـوق أجنحته غير المائتة، أجلستُ نفسي بثبات.
والحياة الدائمة احتضنتني وعانقتني بقبلات،
ومنها جاء الروح الذي فيَّ يشفع بأنات:
الذي لا يموت ولا يفنى، لأنه هو نفسه الحياة.

(المسيح يتكلَّم)

جميع الذين نظروني، تعجَّبوا وأخذتهم الدهشة[٤٥]،
لأني كنت مُضطهَدًا، وعليَّ قامت كل الزُمْرَة.
فاعتقدوا أنني قد فنيتُ، وابتُلِعْتُ من الضغطة،
وتراءيت لهم مثل هالِكٍ، مقطوعٍ من أرض الغُربةِ!
لكن الظلم الواقع، قد استحالَ خلاصًا ونُصرَة.
قد صِرتُ موضع احتقار وحلَّت بي اللعنة:
ولم يكن فيَّ حسد، ولا وُجِدَت عندي غَيرَة؛
بل مشيتُ بين الناس، أصنع معهم الرحمة،
فعوضًا عن المحبة، مجَّانًا قد جازوني بُغضةً[٤٦].
وأحاطوا بي مثل كلابٍ، تنبحُ عليَّ غَضِبَة[٤٧]،
هَجَمَت في جنونها، على أسيادِها وعقرتها بِعَضةٍ:
فأذهانهم كانت فاسدة، وعقولهم راحت في غيبةٍ.

أما أنا فقد أمسكتُ بيدي اليمنى كأس الماء،

---

[٤٥] المسيح هنا يذكر قصة آلامه المقدَّسة كما جاءت في مزمور ٢٢. (انظر أيضًا: إش ٥٢ : ١٤): "كما اندهش منك كثيرون. كان منظره كذا مُفسدًا أكثر من الرجل، وصورته أكثر من بني آدم."

[٤٦] انظر: مز ٣٥ : ١٢: "يجازونني عن الخير شرًا، ثكلًا لنفسي." وأيضًا: مز ١٠٩ : ٤: "بدل محبتي يخاصمونني. أما أنا فصلاة."

[٤٧] انظر: مز ٢٢: ١٦: "لأنه قد أحاطت بي كلاب. جماعة من الأشرار اكتنفتني. ثقبوا يديَّ ورجليَّ."

وبحــلاوتــي تجــرَّعــت مــرارتــهــا، ولم أتمـلـمـل أو أسـتـاء.
ومــا هــلـكـت لأنــي لـسـت أخًــا أو شــريـكًــا لهــؤلاء[٤٨]،
فـمـيـلادي لـيـس كـمـيـلادهـم، مـن زرع مـآلـه الـفـنـاء.
قـد طلبوا مـوتـي ولكنهم لم ينجحوا في هـذا الـرجـاء:
فأنا عتيق الأيـام، وأسـبَـقُ مـن ذاكـرة أولـئـك الضعفاء.

الـذيـن كـانـوا يـطـاردونـي، قـد انـقـضّـوا عـلـيَّ عـبـثًـا،
وسَـعَـوْا بـاطـلًا لمحـو ذِكْـرَى مَـنْ هـو كـائـن قـبـلًا[٤٩].
فـلـيـس شـيء يستطيع أن يـتـجـاوز خـطـة الـعـلـي أبـدًا،
لأن قـلـبـه الإلهــي يـتـعـالـى عـلـى كـل حـكـمـة طُـرًّا.
هَلِّلُويَا!

٢٩ قضيب السُّلْطَة

الـــرب رجـــائـــي فـــالخـــزي لـــن يـــصـــيـــبـــنـــي[٥٠].
لأنــــه حــــســــب عــــظــــمــــتــــه تــــعــــاهــــدنــــي؛
وبمــــوجــــب صــــلاحــــه قــــد كــــافــــأنــــي؛
وبمــقــتــضــى رحمــتــه قــد مجَّــدنــي،
وبــقــدر جــلالــه وبــهــائــه رفــعــنــي.
هــو الــذي أصــعــدنــي مــن أعــمــاق الهــاويــة،
واجــتــذبــنــي مــن فــم المــوت وقــبــضــتــه الــعــاتــيــة[٥١].

---

[٤٨] انظر: حك ٢ : ١٥: "لأن عيشته غير مضاهية سيرة الآخرين ومسالكه مُستَبدَلَة."

[٤٩] تأكيد جديد على أزلية المسيح وسبق وجوده. انظر: يو ٨ : ٥٨: "قال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن." وأيضًا: يو ١ : ٣٠: "هذا هو الذي قلتُ عنه يأتي بعدي رجلٌ صار قدَّامي، لأنه كان قبلي."

[٥٠] نشيد رجاء يوجِّهه المُعمَّد إلى رب السموات. وهو قريب من المزامير ولاسيما (مز ٧١ : ١): "بك يا رب احتميت فلا أخزى إلى الدهر."

[٥١] في هذا الجزء يعالج النشيد موضوع خلاص المأسورين في الجحيم. راجع أيضًا: (نشيد ٢٢).

وأذلَّ أعدائي، وبرَّرني بنعمته الشافية.

قد آمنتُ بمسيح الرب القدوس[٥٢]،
وصدَّقتُ أنه هو هو رب كل النفوس.
فقد أراني علامته، المرعبة للعدو المنجوس[٥٣]،
وقادني بنوره، إلى طريق مجد الفردوس.

قد أعطاني الرب قضيب سلطانه الجبَّار،
لكي أُخضِع أفكار الشعوب والأُمم الأشرار،
وأواضع عنفوان الأشداء، وجبروت الفُجَّار،
وأُقاتل بكلمته، وأغلب بسلاح قوته القهَّار.

لقد صرع الرب عدوي بفعل كلمته،
فحمله الريح كعصافةٍ من وجه حضرته.
فأَعطيتُ المجد للعليّ على شدَّة قوَّته،
لأنه قد عظَّم عَبْدَهُ، ورفَّع ابن أَمتِه.
هَلِّلُويَا!

٣٠ ينبوع الحياة

استقوا لأنفسكم من ينبوع الرب الحي، مياه[٥٤]،

---

[٥٢] بخصوص لقب "مسيح الرب"، انظر: لو ٢ : ٢٦: "وكان قد أوحيَ إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب."

[٥٣] من المُرجَّح أنه يشير "بالعلامة" إلى صليب النُصرة الذي يُرسَم على جبهة المُعَمَّد. راجع أيضًا: (نشيد ٤) حيث يتكلَّم عن "الختم" الذي يُختَم به المُعَمَّد.

[٥٤] النشيد يُقدِّم دعوة للماء الحي، والإشارات الكتابية لهذه الدعوة عديدة وتغص بها النبوات ولاسيما: سفر إشعياء: "فتستقون مياهًا بفرح من ينابيع الخلاص" (إش ١٢ : ٣)؛ "أيها العِطاش جميعًا هلموا إلى المياه والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا" (إش ٥٥ : ١).

وهلموا إليه يا جميع العِطاش، لأنه فتح لكم فاه.
وخذوا لكم شرابًا يروي الظمأ، ويرطِّب الشفاه،
فلسوف تجدون راحتكم، بجوار ينبوع الرب الإله[٥٥]،
لأنه حلو ونقي، ويُنعش النفس التي تترجَّاه،

ومياهه أكثر من العسل حلاوة،
ولا يضاهيها شهد النحل، عذوبة،
لأنها من شفتي الرب سالت مندفقة،
ومن قلب الرب صارت لاسمها مُتخذة.

وهي تنساب بلا حدود، غير مرئية؛
وما رآها أحد قبل أن تظهر علانية.
فطوبى للذين شربوا منها بقصد ونيَّة،
والذين أطفأوا ظمأهم وصاروا في تروية!

٣١ أبناء الله

الهاوية من أمام وجه الرب، قد ذابت[٥٦]،
وبنظرة منه، تبدَّدت الظلمة وتلاشت.
والضلالة قد فرَّت من قدامه، وبادت،
والحماقة لم تعد تجد لها طريقًا، فتاهت،
لأن حق الرب قد غمرها، فاختنقت وماتت.

المزامير: "كما يشتاق الأيل إلى جداول المياه، هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله" (مز ٤٢ : ١).
[٥٥] "مياه الراحة"، ترد في ليتورجية المعمودية بالكنيسة السريانية وأيضًا في أوشية الراقدين بالكنيسة القبطية.
[٥٦] هذا نشيد آخر تُنشده الكنيسة للمسيح المنتصر؛ وفيه يتكلَّم المسيح عن ملحمة آلامه. راجع أيضًا: (نشيد ٢٧). والنشيد في جملته يعرض لتحقيق المواعيد المسيَّانية.

قد فتح فاهه بإعلان النعمة والمسرَّة.
ورتَّل لاسمه تسبيحة جديدة، بالمرَّة،
ثم رفع صوته نحو العلي، وتوجَّه بالصلوة.

وأعطاه الأبناء الذين كانوا في يده،
هؤلاء الذين قد بررَّهم وغسَّلهم بدمه،
حسبما استودعهم أبوه القدوس في كنفه[٥٧].
هيا اخرجوا أنتم يا مَنْ كنتم مظلومين،
لتنالوا الفرح الدائم وتصيروا مسرورين؛
وبالنعمة تصيروا لنفوسكم وارثين،
وللحياة غير الفانية، تصبحوا نائلين[٥٨].

قد حكموا عليَّ حكمًا باطلًا لما ظهرتُ،
رغم أنني لم أُخطئ، ولا في شيءٍ أذنبت.
واقتسموا ثيابي بينهم، ومُحقَّرًا تعرَّيت[٥٩]،
مع أنني لم أكن مديونًا لهم ولا أخطأت.

أما أنا فتحمَّلتُ صابرًا، أنصتُّ في صمتٍ وسلام،

---

[٥٧] إشارة واضحة بلا شك، لما جاء في (يو ١٧ : ٦ و١١): "أنا أظهرتُ اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم، كانوا لكَ وأعطيتهم لي، وقد حفظوا كلامك"؛ "ولست أنا بعد في العالم؛ وأما هؤلاء فهم في العالم، وأنا آتي إليكَ. أيها الآب القدوس، احفظهم في اسمك الذين أعطيتني، ليكونوا واحدًا كما نحن."

[٥٨] النزول إلى الجحيم يكمُل بالعودة إلى الفردوس المفقود.

[٥٩] هذا يشبه ما جاء في الإنجيل. انظر: (يو ١٩ : ٢٣): "ثم إن العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكري قسمًا. وأخذوا القميص أيضًا. وكان القميص بغير خياطة منسوجًا كله من فوق." وأيضًا (مز ٢٢ : ١٨): "يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون."

وكنت أبدو غير منزعج، كمَنْ لا يخصُّه الاتهام[٦٠].
وقفتُ مثل صخرة راسخة، لا تتحرَّك بالتمام،
تلاطمها الأمواج، وهي صامدة على الدوام.

لقد تحمَّلت شرورهم بمودة وصفاء،
لأفتدي شعبي ويصير لي ميراث اقتناء،
وأذكر عهودي التي قطعتها للبطاركة الآباء،
ووعدتهم بها من أجل خلاص جنس الأبناء.
هَلِّلُويَا!

٣٢ الحق فرح ونور

فرح الطوباويين يأتي من أعماق قلوبهم النقية،
والنور من الذي يسكن فيهم ويجد راحته الطوبانية،
والكلمة تأتيهم من الحق الكائن بذاته الإلهية،
وهذا الفرح قد تأيَّد بقوة العلي القدسية،
وهو ثابت من جيل إلى جيل وحتى ساعة الأبدية.
هَلِّلُويَا!

٣٣ حديث العذراء

النعمة قد طاردت الهلاك من جديد[٦١]؛

---

[٦٠] انظر: (مز ٣٨ : ١٣ و١٤): "وأما أنا فكأصم لا أسمع. وكأبكم لا يفتح فاه. وأكون مثل إنسان لا يسمع، وليس في فمه حُجَّة." وأيضًا: (١بط ٢ : ٢٣): "الذي إذ شُتم لم يكن يَشْتِم عوضًا؛ وإذ تألَّم لم يكن يهدِّد بل كان يُسلِّم لمَنْ يقضي بالعدل."

[٦١] نوعية جديدة تصوِّر النزول المنتصر للهاوية، فالمقطعان الأولان من النشيد فيهما ترتيلة غلبة على الجحيم. أما الجزء الباقي يمكن أن يكون نصيحة وحض من الكنيسة - العذراء. ويُلاحَظ أيضًا أن النعمة جاءت هنا بصورة مشخَّصة - بمعنى أنها تشير إلى شخص - وقد وردت في النص الأصلي بصيغة المذكر.

فنزلت إليه لكي تبيده، وتحطِّم متاريسه الحديد.
لقد أباد من أمامه الهلاك، وصاحبه العنيد،
ونقض كل أساساته، بغلبة ونَصرٍ مجيد.

ثم وقف على إحدى القمم العالية،
ودوَّى بصوته إلى أطراف الأرض القاصية.
فاجتذب إليه جميع الذين سمعوه علانية؛
لأنه لم يَبْدُ مثل الشرير، ذي البغضة والكراهية.

وإذ بعذراء كاملة، تنتصب واقفة[٦٢]؛
تبشِّر وتنادي وتدعو الجميع قائلة:
يا أبناء البشر ارجعوا بتوبة صادقة،
ويا بنات الناس، ارجِعْنَ بخطواتٍ مُسرعة!

فاهربوا فورًا من طرق هذا الهلاك المُدمِّرة،
واقتربوا مني وأنا سوف أكون بينكم حاضرة،
أنجيكم من الهلاك، وفي طريق الحق أكون مُرشدة.

لا تُدَمِّروا نفوسكم، ولا تهلكوا في فناء!
بل أصغوا إليَّ لكي تخلصوا من الشقاء،
لأني أُنادي لكم بنعمة الله، مصدر كل عزاء،
وبواسطتي سوف تخلصون، وتصيرون سُعداء.

---

[٦٢] العذراء بحسب رأي البعض تعني الحكمة، ولكن الرأي الأكثر ترجيحًا أنها تشير إلى الكنيسة.

أنا هو الديَّان الذي سوف يدينكم بكل تأكيد[٦٣].
أما الذين التحفوا بي فلن يخيبوا في العالم الجديد،
بل سينعمون بعدم الفساد، والخلود في زمان التجديد.

الذين اخترتُهم سوف يمشون فيَّ آمنين[٦٤]؛
ولسوف أُعرِّف طرقي للذين يطلبونني بيقين.
وسأعطيهم أن يثقوا في اسمي إلى يوم الدين.
هَلِّلُويَا!

٣٤ القلب البسيط

حيث القلب البسيط، فالطريق لا تكون وعرة[٦٥]،
والأفكار المستقيمة لا تقف أمامها أيَّة عقبة،
وأغوار نفسٍ طاهرة، لا تثور فيها أبدًا عاصفة.
عندما يحيط بك الجمال من كل نواحيك،
فلن يوجد على الإطلاق أي انقسام فيك.
لأن كل ما تحت يكون مثل ما هو عاليك،
فلا شيء من تحت وإنما الكل من فوق يأتيك.
أما خلاف هذا فهو خداع ووهم لذويك،
الذين لا تسكنهم المعرفة، ويعيشون في تشكيك.

النعمة قد أُظهِرَت لأجل خلاصكم،

---

[٦٣] ابتداءً من هنا المسيَّا هو المتكلِّم. فهو الديَّان بحسب ما جاء في (يو ٥ : ٢٧): "وأعطاه سلطانًا أن يدين أيضًا لأنه ابن الإنسان." وأيضًا: (متَ ٢٥ : ٣١): "ومتى جاء ابن الإنسان في مجدهِ وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده."

[٦٤] باعتبار أن المسيح نفسه هو الطريق: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤ : ٦).

[٦٥] نشيد من قلب بسيط، مثل (مز ١٣١ : ١): "يا رب لم يرتفع قلبي ولم تَستَعلِ عيناي، ولم أسلك في العظائم، ولا في عجائبَ فوقي ...".

فـآمـنـوا واحـيـوا واخـلـصـوا بحـيـاتـكـم!
هَلِّلُويَا!

٣٥ ارتقاء النفس[٦٦]

نـدى الـرب قـد ظـلَّـل عـلـيَّ بـهـدوء وسـكـون،
وفـوق رأسـي بـسـط سـحـابـةً مـن سـلام مـيـمـون،
هـذه حفظتني في كـل حـين، وصـارت كـالحـصـون،
وبـالـنـسـبـة لـي، فـقـد آلـت إلى خـلاص مـضـمـون.
لـقـد تـزعـزعـت المـسـكـونـة وارتجَّـت مـهـتـزةً؛
وخـرج مـنـهـا دخـان وحـكـم قـضـاء وديـنـونـة.
أمـا أنـا ففـي كـلمـة الـرب كـنـت أنـعـم بـسـكـيـنـة،
لأنـهـا كـانـت لـي أفـضـل مـن أسـاس وسـقـيـفـة[٦٧].

قـد حمـلـني الـرب مـثـل طـفـل عـلـى ذراع أُمِّـه،
وأعـطـانـي لـبـنًـا لأرضـعـه مـن نـدى طـلِّـه[٦٨].
ثـم رفَّـعـني بـفـضـلـه، وأراحـني في كـمـالـه.
قـد بـسـطـتُ يـديَّ وتـهـيَّـأتُ[٦٩]،
ولـصـعـود نـفـسـي قـد تـأهـبـتُ؛
ونحـو الـعـلـي بـقـلـبي تـوجَّـهـتُ،
لأن خـلاصـي عـنـده قـد وجـدت.
هَلِّلُويَا!

---

[٦٦] نشيد للنفس المخلَّصة المُفتَدَاة، يأتي كامتداد متطوِّر للنشيد السابق.

[٦٧] ينبغي ملاحظة المضادة الشديدة بين حالة الأمان والسلام التي يكون فيها البار، وبين أهوال الدينونة المرعبة.

[٦٨] موضوع مفضَّل لدى الكاتب؛ راجع: (أناشيد ٤، ٨، ١٩)

[٦٩] مرَّة أخرى نجد إشارة إلى شخص في وضع الصلاة والصليب (انظر: نشيد ٢٧).

٣٦ في معيّة الرب[٧٠]

في روح الرب قد وجدتُ راحتي والهدوء الشديد،
لأنه أقامني على قدميَّ وحملني إلى عُلاه البعيد،
لأقف أمام كماله وعظمته في أعالي مجدِه التليد،
لذا فأنا أرتّل له، وأَنْظِم فيه أعذب الأناشيد.

(المسيح)

الروح قد ولدني أمام الرب، فصرت ابنًا للبشرين.
ودُعيتُ نورًا وابنًا لله[٧١]، وأنا أعظم من كل الممجَّدين،
وسلطاني فوق كل رياسة،
ويتعالى على أصحاب السلاطين[٧٢].
فالعلي قد قناني بحسبِ عظمتِه،
ثم عاد وجدَّدني بموجبِ جِدَّتِه،
وأخيرًا قد مسحني بمسحةِ كمالتِه،
لأصير واحدًا من أهلِ قرابتِه.

قد انفتح فمي فائضًا، مثل سحابٍ نَديٌّ[٧٣]؛

---

[٧٠] هذا النشيد ينقسم إلى جزأين: الجزء الأول مقدّمة للشاعر، أما الجزء الثاني فيجيء على لسان المسيح.

[٧١] لقب "ابن الله"، الذي يتبادل مع لقب "ابن الإنسان"، يرد كثيرًا في الأناجيل المتناظرة: (مت ٢٧ : ٤ و٤٣ و٥٤؛ مر ١٤ : ٦٢، ١٥ : ٣٩) ولقب: "ابن الإنسان" له رنين مسيّاني يتردد خلال إنجيل متى كله: (٨ : ٢٠، ٩ : ٦، ١٠ : ٢٣ ... إلخ).

[٧٢] هذا المعنى يتردَّد كثيرًا في العهد الجديد: "الذي وهو بهاء مجده، ورسم جوهرِه، وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، بعدما صنع بنفسه تطهيرًا لخطايانا، جلس في يمين العظمة في الأعالي، صائرًا أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسمًا أفضل منهم" (عب ١ : ٣ و٤)؛ "الذي هو رأس كل رياسة وسلطانٍ" (كو ٢ : ١٠).

[٧٣] هذه الفقرة الأخيرة يضعها البعض في فم المسيح كالفقرات السابقة، ولكن الأرجح أنها

وقلبي قد تدفَّق مثل غدير برٍّ نقي،
وصار لي قدومٌ بسلام لدى عَرشِهِ البهيِّ،
وتأيَّدتُ بقوةٍ بروح عنايته الإلهيِّ.
هَلِّلُويَا!

٣٧ ثمار أعمالي

يديَّ نحو الرب قد مددتُ[٧٤]،
وصوتي إلى العلي قد رفعتُ،
وبشفاه قلبي إليه قد صرختُ،
فوصل إليه صوتي، واستُجِبْتُ.

ها إن كلمته قد بلغتني،
وعلى ثمار أعمالي كافأني،
ومن كل جهةٍ قد أراحني،
بنعمة الرب التي شملتني.
هَلِّلُويَا!

٣٨ الحق يقتادني

قد ركبت نور الحق مثل مركبة نارية[٧٥]،
فحملني الحق واقتادني إلى آفاق بعيدة بهيَّة،
إذ عبر بي وهدات عميقة وخلجان مائية؛

منطوقة بفم المعمَّد الجديد.

[٧٤] مرَّة أخرى يصوِّر النشيد وضع إنسان في حالة صلاة باسطًا يديه على مثال الصليب؛ راجع (أناشيد ٢١ و٢٧ و٣٥).

[٧٥] في هذا النشيد، الحقّ يقتاد المؤمن للصعود، بينما يصف الشاعر في طباقِ الخطية والأخطار الناجمة عنها. وهو يستخدم لغة سفر الرؤيا؛ فيتكلَّم عن ولائم عُرس زانية بابل العظيمة. أما المؤمن، وقد أخذ حَذَره، فيدير ظهره للتجربة والغواية، ويتأصَّل في الإيمان، ليُزهر في الله.

وأنقذني من وديان ضيقة وكُتلٍ صخرية،
وصار لي مرفأ خلاص، من عثرات ردية،
لأنه وضع أقدامي على درجات الأبدية.

وكان يمشي عن جانبيَّ اليمين واليسار،
وأنا مُستند عليه، لأنه قويٌّ ذو اقتدار،
فقد أمسكني عن الضلال، ومسالك الدمار،
لأنه كان وسيظل دائمًا، هو الحق الجبَّار.

ليس هناك مِنْ خَطَرٍ عليَّ، لأني في معيَّتهِ،
ولن أضل أبدًا، لأني أحيا دائمًا في طاعتهِ،
فالخطية تفر مبتعدةً، ما تقدر أبدًا على قربتهِ.

ها إن الحق يسير في الطريق المستقيم،
وكل ما لم أعرفه، كان يبيِّنه لي بتعليم:
من سموم الخطية، لأوجاع الموت الأليم،
هذه التي أغوَت شهواتي، وأذلَّت إنساني القديم.

رأيت المُفسد والفساد وفخاخهم جميعها،
بينما كانت العروس المغوية تزيِّن نفسَها،
للعريس الفاسد الذي يغوي النفوس كلها.

فسألت الحق قائلًا: تُرى مَنْ يكون هؤلاء؟
فأجابني، إنهما الغاوي وتلك الغواية الشنعاء،
وهما يُشبهان حبيبًا وعروس نفسهِ الحسناء،

فللرب وحده ينبغي التمجيد،
على نبتته وزرع يمينه الوطيد،
وبركة شفتيه واهتمامه الشديد،
وحُسن غرسه، وثمرة فكره البعيد.
هَلِّلُويَا!

٣٩ مياه الموت

قوة الرب سيول تجرف الأشرار وعظمتهم[٧٧]،
تطيح بالذين يحتقرونه وتقوِّض وجودهم،
وتعرقل مسيرهم، وتقطع عليهم معابرهم،
وتنزع عنهم أجسادهم، وتُهلِك نفوسهم.

إنها أكثر سرعةً وخفَّةً من وميض البرق الوهَّاج،
والذي يعبرها بإيمان، لن يتزعزع أبدًا أو يهتاج.
فأولئك الذين يتجاوزونها بغير دنسٍ أو اعوجاج،
لن ينزعجوا أبدًا، من تيار مائها العَجَّاج.
فالعلامة هي الطريق، الذي يحتاجه هؤلاء الحجَّاج[٧٨]،
الذين يعبرون باسم الرب، لأنها لأقدامهم سراج.

فالبسوا إذن اسم العلي واعرفوه،
وأنتم تعبرون بغير خطر أو مكروه،

كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه" (١كو ٣ : ٧ و٨).

[٧٧] مفتاح فهم هذا النشيد هو عبور نهر الأردن ودخول أرض الميعاد. والسيد المسيح قد أعاد مرَّة ثانية هذا العمل بالنسبة لشعبه، عندما اعتمد على يد يوحنا المعمدان في نفس النهر. وهكذا فتح الطريق من ورائه أمام كل الشعب لقبول المعمودية. وعبور نهر الأردن، يجدِّد ذكرى العبور الإعجازي للبحر الأحمر، الذي صار خلاصًا للمؤمنين وهلاكًا للآخرين.

[٧٨] "العلامة" هي اسم المسيح. (انظر: نشيد ٨)، وهي كذلك صليبه (انظر: نشيد ٢٣).

لأن السيول ستخضع لكم، من كل الوجوه[٧٩].

فالرب بكلمته قد أقام عليها قنطرةً[٨٠]،
اجتازها ومشى عليها خطوة خطوةً،
وجرَّتهُ ما زالت على المياه بشدَّةٍ مطبوعةً،
لن تُمحَى إطلاقًا، أو تتوارى مندثرةً،
لأنها مثل معبرة خشبية قد شيَّدها متينةً.

من هنا ومن هناك، فالأمواج قد ترتفع وتتعالَى[٨١]؛
لكن آثار المسيح ربنا، راسخة لن تزول أو تتوارى،
فالطريق أصبح مفتوحًا، لكل مَنْ يعبر خلفه بأمانة،
ولاسيما لأولئك الذين أكملوا مشوار إيمانه حتى الثمالة.
ويحبون اسمه ويسجدون له بكل وقار ورزانة[٨٢].
هَلِّلُويَا!

٤٠ ميراث الحياة الأبدية

مثلما يسيل العسل من قرص شمع النحل السُداسي،
واللبن من ثدي المرأة التي تحب أطفالها بحنان غريزي،
هكذا أيضًا رجائي يكون فيك يا الله ربي وإلهي[٨٣].

---

[٧٩] إشارة للمعمودية "باسم يسوع"، كنتيجة لمعرفة الإيمان وقبوله.

[٨٠] راجع: (يش ٣ و١٥ و١٧): وكون المسيح يمشي على الأمواج ثم يسمح لبطرس أن يفعل مثله يُعيد للأذهان موقفًا مُشابهًا لعبور الشعب الأردن: "فأجابه بطرس وقال يا سيد إن كنت أنت هو فمرني أن آتي إليك على الماء. فقال تعال. فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتيَ إلى يسوع." (مت ١٤ : ٢٩).

[٨١] نلمح هنا من بين السطور إشارة لعبور البحر الأحمر. فالشاعر قد صوَّر الأرواح وشخَّصها في تلك "الجدران المائية".

[٨٢] كل معتمد وكل مسيحي يعبر روحيًا نهر الأردن، الذي يقوده إلى دخول أرض الموعد. فالمعتمد حديثًا يعبر جرن المعمودية تمثيلاً لهذه الحقيقة.

[٨٣] انظر: (نشيد ٥ و٢٩). كذلك في المزامير: "عليك أُلقيت من الرحم. من بطن أمي أنت إلهي" (مز ٢٢ : ١٠)؛ "لأسكُنَنَّ في مسكنكَ إلى الدهور. أحتمي بسترِ جناحيك" (مز ٦١ : ٤)؛ "لأنك قلت أنت يا رب ملجئي. جعلت العلي مسكنك" (مز ٩١ : ٩).

وكما يفيض الينبوع بمائه العذب،
كذلك يتدفَّق من قلبي تسبيح الرب[84]،
وشفتاي تنطق له بتماجيد الحُبِّ،
وتحلو أناشيده للساني وإياها يَستَحِبّ.

يتهلَّل وجهي في فَرَحِه،
وتبتهج روحي في حُبِّه[85]،
وتُشرق نفسي في محضره،
ومخاوفي تتحوَّل إلى ثقة به؛

فقد صار الخلاص فيه مكفولًا،
وميراث الحياة الأبدية، مضمونًا،
والذي قَبِلَهُ، صار من الفساد معتوقًا.
هَلِّلُويَا!

٤١ الترنيمة الجديدة

فليُسبِّح الربَّ جميعُ أطفاله،
وليقبلوا كلهم حقيقة إيمانه،
وليكن أولاده معروفين عنده.
وحينئذ سوف نرتِّل في محبته.
فنحن نحيا في الرب ونتحرَّك بنعمته،
ونقتبل الحياة في شخص مسيحه.
فقد أشرق علينا يومٌ عظيم بالحقيقة،

---

٨٤ انظر: (نشيد ٣٦).
٨٥ راجع: (نشيد ٥١)، وانظر أيضًا: "لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي. جسدي أيضًا يسكن مطمئنًا" (مز ١٦ : ٩)؛ "تبتهج روحي بالله مخلصي." (لو ١ : ٤٧).

ورائع ذاك الذي أعطانا أفضل أناشيده.
فلنجتمع باسم الرب ونلتف من حوله،
لكي نسبِّحه على عظم صلاحه[٨٦].
وليُضئ على وجوهنا مجد نوره[٨٧]،
ولتلهج قلوبنا ليل نهار في حُبِّه،
ولنبتهج بفرح الرب وشدَّة قوَّته.

(المسيح يتكلَّم)

يتعجَّب كل مَنْ ينظر إليَّ ويراني،
لأني أنتمي لجنس آخر فوقاني[٨٨].
والآب قد ذكرني لأنه إلهٌ حقَّاني،
وهو الذي من البدء قد اقتناني[٨٩].
ولَدَني من ملئه، وفكر قلبه النوراني.

(المؤمنون)

إن كلمته معنا على طول طريقنا، تعزينا؛
والمخلِّص واهب الحياة، من المحال أن يزدرينا،
فالإنسان الذي اتضع، قد ارتفع ببرِّه لأعالينا،
وابن العلي قد ظهر في كمال أبيه، ليوافينا؛

---

[٨٦] هذا البيت يمكن فهمه على أنه اجتماع حول مائدة الرب في سر (الإفخارستيا) إحياءً لذكرى الفصح. وعلى وجه العموم، فالمقصود هنا اجتماع جماعة المؤمنين.
[٨٧] راجع: (نشيد ١١). وأيضًا: "ليتحنن الله علينا ويباركنا. لِيُنر بوجهِهِ علينا" (مز ٦٧ : ١).
[٨٨] راجع: (نشيد ١٧ و٢٨)، وأيضًا: "وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي. أمة مقدَّسة شعب اقتناء لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب" (١بط ٢ : ٩).
[٨٩] انظر: (أم ٨ : ٢٢): "الرب قناني أول طريقه من قبل أعماله منذ القديم." وهذا النص يمكن تطبيقه على المسيح، وعلى كل الذين يعترفون باسمه.

كنورٍ أشرق من الكلمة لكي يُضيء علينا،
وهو كائن منذ البدء في الله أبيه وأبينا،
فالمسيح الحقَّاني واحد مع الآب فينا،
معروفٌ عند الآب قبل كون العالمينا،
ليخلِّص النفوس إلى الأبد من يد معاندينا،
وذلك بحق اسمه القدوس، فادينا[٩٠].
إنها تسبحة جديدة للرب من الذين يحبونه.
هَلِّلُويَا!

٤٢ قد قمت من الأموات

مَددتُ يديَّ، ودنوتُ من الرب بتقدمةٍ[٩١]،
فبسْطُ الأيادي، إنما هو علامته الدائمة:
وامتدادي هو خشبة الصليب القائمة،
التي عُلِّق عليها البار، في الطريق المؤلمة.

(المسيح يتكلَّم)

صرتُ بلا منفعة للذين لم يعرفوني،
وأخفيت نفسي عن الذين لم يقتنوني،
لكنني قريبٌ من كل الذين يحبونني،
بينما هلك، أولئك الذين اضطهدوني،
أما الذين عرفوني حيًّا، فهم الذين طلبوني[٩٢].

---

[٩٠] راجع: (نشيد ٢٧).
[٩١] الأبيات الأولى جاءت على لسان المرتِّل. وصورة الإنسان الواقف للصلاة باسطًا ذراعيه على مثال الصليب سبق ورودها في (نشيد ٢١ و٢٧ و٣٥ و٣٧).
[٩٢] إشارة للذين طلبوا الرب في فجر أحد القيامة: "لماذا تطلبن الحي بين الأموات؟" (لو ٢٤ : ٥) فوجدوه قائمًا.

قد قمتُ من الموت، وها أنا معهم،
أنطق على شفاههم وأتكلَّم بفمهم،
ولأنهم قد نبذوا الذين يضطهدونهم،
فلذلك وضعت نير محبتي عليهم.

فكما يطوِّق العريس عروسَهُ بذراعه ويضمها برقَّةٍ،
كذلك يكون نيري على الذين يعرفونني حق المعرفة.
ومثلما يُقام خِباء العُرسِ عند العريس بمسرَّةٍ،
هكذا المؤمنون بي، يحتمون في محبتي مثل القلعة.
الواقع أنني لم أُرفَض، حتى وإن بديتُ مرذولًا،
وأيضًا لم أهلك، رغم أنهم قد رأوني مسحوقًا.
فعندما أبصرتني الهاوية، انهزمَت وتراجَعت حقيرة،
والموت لم يسُدْني، بل خرجتُ منه بجموع غفيرة[٩٣]،

كنتُ للموت خلاًّ ممزوجًا بمرارة؛
فنزلتُ معه للجحيم السفلي بجسارةٍ،
حتى وصلتُ أعماقه وبلغت إلى قرارهِ.
فسلَّم رؤوسًا وأقدامًا كانت مُنهارةً،
لأنه لم يحتمل رؤية طلعتي النوَّارة.
فمن أمواته المُغلَق عليهم في مغارة؛
أخذت جمعًا أحياءً رقدوا في طهارة.
فكرزتُ لهم بشفاهٍ حيَّة كلها حرارة،
حتى لا ترجع كلمتي فارغة بخسارة[٩٤].

---

[٩٣] يُعبِّر هذا البيت عن تحرُّر المأسورين الذين كانوا ينتظرون في الجحيم.

[٩٤] البشارة بالإنجيل للأموات موضوع رئيسي في التعليم المسيحي في الأجيال الأولى. وقد بلوره القديس بطرس: "الذي فيه أيضًا ذهب فكَرَزَ للأرواح التي في السجن" (١بط ٣ : ١٩)، "فإنه لأجل هذا بُشِّرَ الموتى أيضًا لكي يُدانوا حسب الناس بالجسد ولكن ليحيوا

قد أسرع نحوي أولئك الذين كانوا مائتين:
يصرخون بصوتٍ عالٍ ويطلبون إليَّ قائلين:
ارحمنا يا ابن الله، واصنع معنا كمراحمك للكثيرين.
وأخرجنا من هذا الأسرِ، ورُبُط الظلمة القاسيين،
وافتح لنا الباب، لكي نخرج إليك بفرحٍ متهللين.

فنحن نرى أن مواتنا لم يستطع أن يَقْربَك،
فحرِّرنا نحن أيضًا حتى نكون دائمًا معك،
لأنك أنت هو مخلِّصنا وفادينا ابن الملك.

أما أنا، فقد سمعتُ صوتهم،
وقلبي، قد استودعته إيمانهم،
واسمي، نقشته على جباههم.
وصاروا من خاصتي لأني حرَّرتهم.
هَلِّلُويَا!

حسب الله بالروح" (١بط ٤ : ٦).